جامعة الشهيد حمه لخضر–الوادي
معهد العلوم الإسلامية
قسم أصول الدين

معالم التجديد الكلامي عند الشيخ محمد المبارك

مذكرة تخرّج تدخل ضمن متطلبات الحصول على شهادة الماستر
في العلوم الإسلامية –تخصص: عقيدة

إعداد:
خديجة قاسمي
منال حامدي

المشرف:
د. زهير بن كتفي

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
د. جمال الأشراف	أستاذ محاضر أ	جامعة الشهيد حمه لخضر–الوادي	رئيسا
د. زهير بن كتفي	أستاذ محاضر أ	جامعة الشهيد حمه لخضر–الوادي	مشرفا ومقررا
د. محمد الأمين بابزيز	أستاذ مساعد ب	جامعة الشهيد حمه لخضر–الوادي	ممتحنا

السنة الجامعية: 1444–1445هـ/2023–2024م

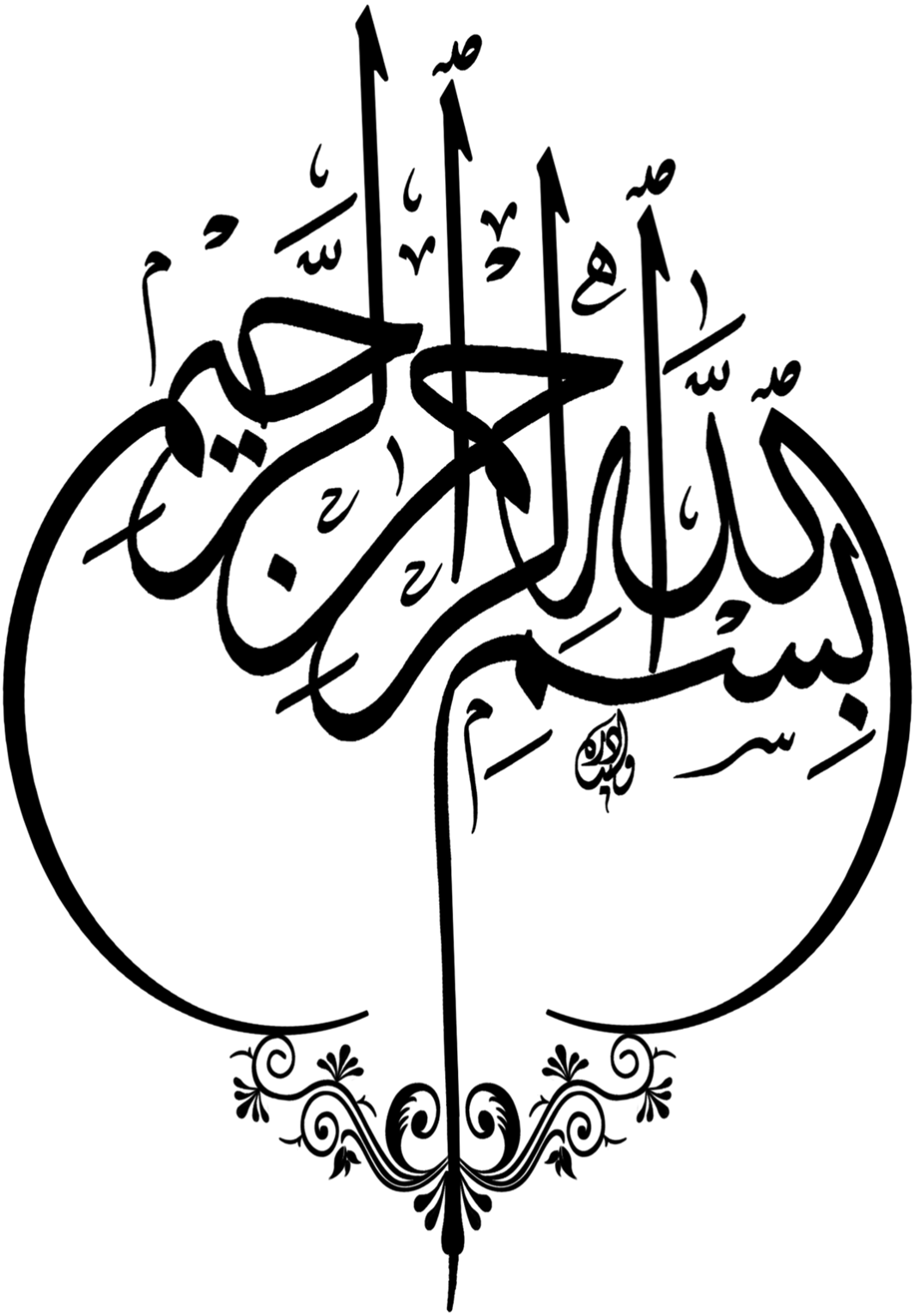
بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

أهدي ثمرة جهدي المتواضع:

إلى من أقسمت أن أكتب اسمها الكامل في كل إنجازاتي، من احتضنني قلبها قبل يديها وسهلت لي الشدائد بدعائها، أمي الحبيبة "**سعاد حاشي**".

إلى داعمي الأول، من علمني أن الدنيا كفاح مستمر وسلاحها العلم والمعرفة، فخري واعتزازي، أبي الغالي "**علي**".

إلى سندي وقوتي في الحياة إخوتي الأعزاء:

"**وليد، آمال، السعيد، آية الرحمان**".

إلى من عملت معي بجد بغية إتمام هذه الرسالة...

زميلتي "منال حامدي" وفقها الله لما يحبه ويرضاه.

إلى كل باحث عن الحقيقة ومناضل بفكره وقلمه من أجل تطوير هذه الأمة.

خديجة بنت علي قرسمي

إهداء

أهدي هذا البحث:

إلى من تعبت وسهرت على تربيتي أمي" **الزهرة حامدي**".

إلى من أعانني بدعواته ودعمه اللامتناهي في سبيل تحقيق نجاحاتي

أبي الغالي الأستاذ "**عبد المجيد حامدي**".

إلى إخوتي" **زكرياء وتوفيق**".

إلى أخواتي "**ابتسام، هناء، صبرينة ونسيمة**".

إلى أبناء وبنات إخوتي "**زياد، مصعب، محمد الناصر، روان، إيناس كاميليا، ميرال وليليان**"

إلى من شاركتني هذا العمل وبذلت قصارى جهدها كي نتم إنجازه على أكمل وجه زميلتي: "**خديجة قاسمي**" وفقها الله في حياتها.

إلى أساتذتي الذين درسوني من المرحلة الابتدائية حتى المرحلة الجامعية، وإلى كل من علمني حرفا.

وإلى كل من ساعـدني من قريب أو بعيد.

منال حامدي

شكر وتقدير

أولا الحمد لله تعالى، نحمده ونشكره على توفيقه لنا لإنجاز هذه الرسالة، وعملا بقول النبيﷺ: (لا **يشكر الله من لا يشكر الناس**) فإننا نتقدم بالشكر إلى **كلية العلوم الإسلامية** بجامعة الوادي التي أتاحت لنا الفرصة لمزاولة الدراسة العليا.

كما نتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ **زهير بن كتفي**، الذي شرفنا بقبول الإشراف على رسالتنا وأعاننا ولم يبخل علينا بنصحه وتوجيهه.

والشكر موصول إلى كل من يسّر لنا الطريق لإتمام هذا العمل المتواضع ونخص بالذكر **ابن الشيخ الدكتور صالح المبارك**

وكذا الأستاذ **محمد علي النجار**

بارك الله فيهم وجزاهم الله عنا خير الجزاء.

كذلك نشكر كل أعضاء لجنة المناقشة الموقرين، الذين بذلوا ويبذلون اجتهادهم وتجاربهم ليأخذها غيرهم سهلة هينة، ويقدمون للأمة ما يكافئه إلا ما عند الله تعالى.

شكرا...

الملخص

حاولنا من خلال هذه الدراسة الموسومة بـ"**معالم التجديد الكلامي عند الشيخ محمد المبارك**" إبراز الجهود التجديدية التي قام بها الأستاذ محمد المبارك في خدمة العقيدة الإسلامية من خلال بحث الدعوة إلى تجديد الدرس الكلامي، وذلك بعرض مستويات التجديد في علم الكلام ومبررات التجديد عنده؛ حيث أعطى صورة عامة للدرس العقدي السابق والراهن من خلال حصره لمجموعة من النقائص التي انقصت من فعّالية العقيدة في قلوب الناس وسلوكياتهم ومعاملاتهم وحياتهم، لنخلص في الأخير إلى إبراز مقترحاته لتجديد الدرس الكلامي المعاصر والنهوض به.

The Summary

The aim of this study which is titled by "Innovation the field of Islamic Theology by Muhammed AL-Mubarak" is to shed light on the features of renewal Theology in his works.

The present research work is an attempt at highlighting the efforts made by A-Mubarak in serving Islamic creed ,through calling for the renewal and the reforming of Islamic Theology.

In the beginning, we presented the levels and the justifications of the necessity to the innovation according to Al-MUBARAK, providing an overview of past and present theological teachings; this included identifying several shortcomings that have diminished the effectiveness of faith in people's hearts and actions. To conclude with, we illustrated his proposals for reviving Theology to keep up with modern times and challenges

مقدمة

مقدمة

الحمد لله الذي بعث على رأس كل مائة سنة من يجدد لهذه الأمة أمر دينها، وأقام في كل عصر من يحوط هذه الملة بتشييد أركانها، وتأييد سننها وتبيينها، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداﷺ عبده ورسوله. والصلاة والسلام على جميع الأنبياء والمرسلين، حملة لواء التوحيد بين الأمم، وقادة الخلق إلى الحق.

وبعد...

فمما لا شك فيه أن علم الكلام القديم قام بدوره في عرضه ودفاعه عن العقيدة الإسلامية بما يوافق الزمن وقضايا المجتمع الإسلامي حينها، ولكن ما أصابه من ركود فكري وجمود دعا العلماء إلى طرح تجديد شامل لعلم الكلام بما يتوافق والتحديات الفلسفية والعلمية المعاصرة، ومن بين أولئك الذين دعوا إلى نهج جديد وطرح عصري للعقيدة الإسلامية الشيخ محمد المبارك الجزائري والذي سنتناوله في بحثنا هذا.

1- أهمية الموضوع:

تكمن أهمية هذا الموضوع في النقاط الآتية:

- كونه متعلقا بأشرف العلوم وأجلها ألا وهو علم أصول الدين.
- الإشارة إلى عَلم من الأعلام غير المعروفين للعامة وهو الأستاذ محمد المبارك.
- توضيح مجالات التجديد الكلامي ومبرراته عند الشيخ محمد المبارك.
- إبراز المداخل التجديدية للدرس الكلامي عند الشيخ محمد المبارك للنهوض بدرس العقيدة في الراهن.
- أهمية تجديد الدرس العقدي في الإسلام بما يتناسب ويتلاءم مع التحديات المعاصرة في مختلف المجالات، خاصة ما نشاهده اليوم من موجة انتشار الإلحاد ومحاولات التشكيك في القرآن الكريم والسنة النبوية باعتبارهما مصدرا التلقي للعقيدة الإسلامية.

2- إشكالية البحث:

ويأتي هذا البحث محاولا إثارة إشكالية رئيسية من أجل بحثها، وتتمثل في هذا التساؤل: **ماهي معالم تجديد علم الكلام عند الشيخ محمد المبارك؟**

وتندرج تحت هاته الإشكالية أسئلة فرعية مساعدة على فهمها، وهي:

- من هو الأستاذ محمد المبارك؟
- ماهي مستويات تجديد علم الكلام عند الأستاذ محمد المبارك؟
- ماهي مبررات تجديد علم الكلام عند الأستاذ محمد المبارك؟
- ماهي مقترحات الأستاذ محمد المبارك للنهوض بالدرس العقدي المعاصر؟

3- أهداف الموضوع:

يمكن إجمال الأهداف من هذه الدِّراسة في الآتي:

- إبراز جهود الأستاذ محمد المبارك في خدمة العقيدة، من خلال ملامح دعوته لتجديد علم الكلام.
- تحقيق الهدف المنشود، وهو الوصول إلى ملامح التجديد الكلامي لدى الأستاذ محمد المبارك.
- المساهمة في بحث النهوض بتجديد الدرس العقدي في الإسلام ونفض الغبار عن أعلام المسلمين الذين أسهموا في ذلك.

4- الدراسات السابقة:

بعد بحث طويل وبالرجوع إلى الشبكة العنكبوتية، فإنّ الدراسات في هذا الموضوع، أي معالم التجديد الكلامي عند الشيخ محمد المبارك كموضوع مستقل لا توجد، ولكن بالمقابل توجد دراسات عن الأستاذ تطرقت في بعض جزئياتها إلى المنحى الكلامي الذي نحن بصدد بحثه، منها:

- رسالة دكتوراه بعنوان: "الدرس العقدي عند محمد المبارك" للباحثة فتيحة دوار، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإسلامية، قسم العقائد والاديان، 1431هـ/2010م.
- رسالة ماجستير بعنوان: "اتجاهات تجديد الفكر العقدي عند أهل السنة في العصر الحديث- الأستاذ محمد المبارك أنموذجا" للباحث محمد علي النجار، جامعة اسطنبول-صباح الدين زعيم، قسم العلوم الإسلامية الأساسية، تخصص العقيدة والفلسفة الإسلامية، 2022م.

فهاتان الرسالتان، تعرضت في الأولى منها الباحثة إلى جهود الأستاذ المبارك في خدمة العقيدة الإسلامية، اما الثانية فتعرض الباحث إلى سبعة اتجاهات عقدية معاصرة عند أهل السنة، وقد ذكر

الأستاذ المبارك ضمن الاتجاه السابع، فتناول الباحث منهج الأستاذ في تجديد الفكر العقدي، وقد استفدنا كثيرا من هذه الدراسات المذكورة أعلاه في جوانب عدة خدمت موضوعنا.

5- أسباب اختيار الموضوع:

يمكن إجمال الأسباب التي دعتنا إلى اختيار هذا الموضوع في النقاط الآتية:

أ- الأسباب موضوعية:

- ما يحمله هذا الموضوع من أهمية بالغة في مجال العقيدة.
- ما يمثله الشيخ المبارك من زخم فكري إبداعي وتجديدي في مختلف مجالات الفكر الإسلامي ومنها الفكر العقدي أو علم الكلام.
- ما يمثله موضوع التجديد في علم الكلام من راهنية وواقعية معاصرة.
- محاولة إثراء المكتبة الجامعية فيما يخص هذا الموضوع.

ب- الأسباب ذاتية:

- دراستنا لمقياس "التجديد في علم الكلام" التي ولدت لدينا الرغبة الشديدة في اختيار موضوع البحث في هذا المجال.
- توسيع دائرة معرفتنا بهذا الموضوع ومعرفة شخصية الأستاذ محمد المبارك، لما كان له من أثر لم يأخذ حقه الكافي من البحث فيه.

6- منهج الدراسة:

من أجل الوصول إلى الأهداف المسطرة في بداية البحث اقتضت طبيعة الدراسة الاعتماد على عدة مناهج منها:

- المنهج الوصفي، يتضح من خلال بيان التعريفات التي تحدد مصطلحات البحث وتتبع التعريف بشخصية محمد المبارك.
- المنهج الاستقرائي، يتبين ذلك من خلال تتبع نصوص وآراء الشيخ محمد المبارك من خلال مؤلفاته.
- المنهج التحليلي، الذي حاولنا من خلاله تفسير وشرح نصوص محمد المبارك واستنباط ما يمكن أن يخدم بحثنا.

7- صعوبات البحث:

على الرغم من أنه أتيح لنا الحصول على المؤلفات المركزية للشيخ المبارك التي تتعلق بموضوع بحثنا إلا أننا لم نستطع الوصول إلى كل مؤلفاته.

هذا وتجدر الإشارة في هذا المقام إلى أننا بذلنا قصارى جهدنا حتى أننا تواصلنا مع أحد أولاده وهو صالح المبارك للمساعدة في الموضوع.

8- خطة البحث:

اشتملت خطة البحث على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة.

فالمقدمة تضمنت عناصرها الأساسية، تعريف الموضوع وأهميته وأهدافه والإشكالية وغيرها.

أما **المبحث الأول**، فقد خصصناه لتحديد المفاهيم الاصطلاحية للموضوع والتعريف بشخصية الشيخ محمد المبارك.

يتلوه **المبحث الثاني** بعنوان "مجالات ومبررات التجديد في علم الكلام عند الشيخ المبارك" تناولنا فيه مطلبين: المطلب الأول أدرجنا فيه مجالات التجديد عند الأستاذ المبارك، والمطلب الثاني مبررات التجديد في علم الكلام عند الشيخ المبارك.

والمبحث الثالث، جاء للحديث عن الملامح التجديدية للدرس الكلامي عند الشيخ محمد المبارك حيث تطرقنا فيه لعرض مقترحات موضوعية وأخرى منهجية.

وأخيرا **الخاتمة**، وقد حاولنا من خلالها أن نجيب عن إشكالية البحث، ونعرض لأهم النتائج المتوصّل إليها.

ونسأل الله التوفيق والسداد وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المبحث التمهيدي: مدخل مفاهيمي

في مفتتح هذا البحث سنقوم بتقديم تعريف لمصطلحات البحث، كتعريف علم الكلام، ومصطلح التجديد، وتحديد علم الكلام، ونقوم بالتعريف بشخصية الشيخ محمد المبارك كونه من الشخصيات المجددة التي حددنا موضوع البحث في عملية التجديد لعلم الكلام عنده.

المطلب الأول: مفهوم التجديد في علم الكلام

الفرع الأول: تعريف التجديد

الفرع الثاني: تعريف علم الكلام

الفرع الثالث: المقصود بتجديد علم الكلام

الفرع الرابع: جوانب التجديد في علم الكلام

المطلب الثاني: محمد المبارك ترجمة موجزة

الفرع الأول: مولده ونسبه

الفرع الثاني: نشأته التعليمية ومسيرته العلمية

الفرع الثالث: آثاره وأقوال العلماء وبعض المقربين فيه

الفرع الرابع: وفاته

المطلب الأول: مفهوم التجديد في علم الكلام

الفرع الأول: تعريف التجديد

أولا: تعريف التجديد لغة:

"فعل مشتق من جدَّد: جدد الشيء صيّره جديدا، ويقال جدَّد العهد، وثوبا لبسه جديدا، تجدَّد الشيء صار جديدا، استجد الشيء صار جديدا والشيء استحدثه وصيره جديدا".[1]

"جد الشيء يجدُ بالكسر جدةً: صار جديدا، وهو نقيض الخلق"، "وجددت الشيء أجدهُ بالضم جدا قطعته. تجدد الشيء صار جديدا، وأجدهُ، واستجدهُ، وجدّدهُ، أي صيره جديدا".[2]

ونجد دليله في القرآن الكريم: ﴿**أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الأول بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ**﴾[ق:15]

وكخلاصة من هذه التعريفات المعجمية يتضح أن التجديد في اللغة لا يعني التخلص من القديم أو هدمه، بل هو الاحتفاظ به ومحاولة ترميمه وإدخال تحسينات عليه، ولو كان غير هذا ما سمي تجديدا.

ثانيا: تعريف التجديد اصطلاحا:

أما من الناحية الاصطلاحية فقد تعددت التعريفات حول مفهوم التجديد، نذكر منها:

- تعريف العلقمي: "بمعنى إحياء ما اندرس من العمل من الكتاب والسنة، والأمر بمقتضاها".[3]

- تعريف المودودي: "أن التجديد هو تنقية الإسلام...ثم العمل على إحيائه خالصا محضا على قدر الإمكان".[4]

-تعريف القرضاوي: "أن التجديد لشيء ما، هو محاولة للعودة به إلى ما كان عليه يوم نشأ وظهر،

---

1 مجموعة مؤلفين، المعجم الوسيط، تحق: مجمع اللغة العربية، (د. ط)، (د.ن)، (د.ت)، ج1، ص109.

2 اسماعيل الجوهري، الصحاح، ط4، بيروت، دار العلم، 1990م، ج1، ص454.

3 زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي، فيض القدير، ط1، مصر، المكتبة التجارية الكبرى، 1356ه، ج2، ص281.

4 أبو الاعلى المودودي، موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه وواقع المسلمين وسبيل النهوض بهم، ط2، لبنان، دار الفكر الحديث، 1886ه/1967م، ص52.

بحيث يبدو مع قدمه كأنه جديد".[1]

وقال كذلك: "التجديد لا يعني أبدا التخلص من القديم أو محاولة هدمه، بل الاحتفاظ به، وترميم ما بلي منه وإدخال التحسين عليه، ولولا هذا ما سمي تجديدا لأن التجديد يكون لشيء قديم".[2]

من خلال ما سبق نستنتج أن التجديد من الناحية الاصطلاحية هو: إحياء ما جاء به القرآن الكريم والسنة النبوية وليس الإتيان بما هو خارج عنهما وجعله أصلا، وإلا لا يصح أن يطلق عليه تجديدا.

يتضح إجمالا أن التجديد هو السعي المتواصل لتصحيح ما شوه وتصويب ما انحرف في مجالات الحياة العامة، لمواكبة تحديات العصور، وإزالة ما علق من شبهات واتهامات.

الفرع الثاني: تعريف علم الكلام

من جملة علماء المسلمين الذين عرفوا علم الكلام، نختار تعريفات كل من:

-تعريف أبي نصر الفارابي: "صناعة الكلام ملكة يقتدر بها الإنسان على نصرة الآراء والأفعال المحدودة التي صرح بها واضع الملة، وتزييف كل ما خالفها بالأقاويل".[3]

-تعريف عضد الدين الإيجي: "علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبه، والمراد بالعقائد ما يقصد به نفس الاعتقاد دون العمل، وبالدينية المنسوبة إلى دين محمدﷺ، فإن الخصم وإن خطّأناه لا نخرجه من علماء الكلام".[4]

-تعريف ابن خلدون: "هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية، والرد عن المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة، وسر هذه العقائد الإيمانية هو التوحيد".[5]

---

1 يوسف القرضاوي، من أجل صحوة راشدة تجدد الدين وتنهض بالدنيا، ط1، القاهرة، دار الشروق، 1421هـ/ 2003م، ص30.

2 يوسف القرضاوي، الفقه الإسلامي بين الأصالة والتجديد، ط2، القاهرة، مكتبة وهبة، 1419هـ/1999م، ص29-30.

3 أبو نصر الفارابي، إحصاء العلوم، تحق: عثمان محمد أمين، ط1، مصر، مكتبة الخانجي، 1350هـ/ 1931م، ص71.

4 عضد الدين الإيجي، المواقف. تحق: عبد الرحمان عميرة، ط1، بيروت، دار الجيل، (د.ت)، ج1، ص31.

5 ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون. ط4، بيروت-لبنان، دار القلم، 1981م، ص458.

تعددت تعريفات علم الكلام لكن الاتفاق على هويته الدفاعية، فهو مؤسس لغرض الدفاع عن العقيدة الإسلامية والرد عن المطاعن التي توجه إليها، فمُهِمَّة هذا العلم ومفهومه لا يجب أن يخرج عن إطار البحث في الدين وأصوله والثبات عليها والدفاع عنها بشتى الطرق والوسائل.

وخلاصة القول إن علم الكلام كجل العلوم الإسلامية قد دخل في مرحلة توقف وركود منذ القرن التاسع الهجري، وغطَّ في سبات عميق، فكان من الطبيعي أن تبرز مشاريع إحيائه يسعى من خلالها العقل الكلامي المعاصر لتجديد علم الكلام.

الفرع الثالث: المقصود بتجديد علم الكلام

ذكر بعض الباحثين أن تسمية علم الكلام الجديد "تسمية إسلامية، لم تعهدها الدراسات الكلامية الغربية لا اليهودية ولا المسيحية، وقد جرى استخدام هذه التسمية للمرة الأولى من قبل الباحث الهندي شبلي النعماني في كتابه "علم الكلام الجديد".[1]

وفي الواقع ما زال هناك نقاش بين الباحثين حول بيان مفهوم تجديد علم الكلام، فقد ذهب البعض إلى أن تجديد علم الكلام لا يعني سوى دمج المسائل الجديدة واستيعابها في إطار المنظومة الموروثة لعلم الكلام. فمتى ما انظمت مسائل أخرى لعلم الكلام تجدد هذا العلم.

فيما ذهب غيرهم إلى أن مفهوم تجديد علم الكلام لا يقتصر على ضم مسائل جديدة فحسب، بل يتسع ليشمل التجديد في المسائل، والهدف، والمناهج، والموضوع، واللغة، والمباني، والهندسة المعرفية.[2]

كما عرفه مرتضى مطهري بقوله: "إن التجديد في علم الكلام هو العلم الذي يبحث في أصول الدين الإسلامي يتم تجديد ما هو من أصول الدين، وما ليس منها وكيف، وبأي دليل يتم إثبات ذلك، ومن ثم يتحمل علم الكلام مسؤولية الاجابة الشافية على الشكوك، والشبهات الواردة على هذه الأصول"[3]

---

1 سعيد عبيدي، علم الكلام كآلية من آليات إصلاح وتجديد الخطاب الديني، مجلة المعرفة، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، الجزائر، ع69، 2020-06-30، ص372.

2 عبد الجبار الرفاعي، مقدمة في علم الكلام. ط:2؛ الخرطوم، دار المصورات للنشر والطباعة والتوزيع، 2021م، ص74-75.

3 نوال بن عبد الحميد وزينب تواتي طليبة، التجديد الكلامي عند نديم الجسر، كلية العلوم الإسلامية، قسم أصول الدين، جامعة الشهيد حمة لخضر، 2022/2021م، ص6.

يُلاحظ من هذا التعريف: جعله علما خالصا لتبيين القضايا التي هي من صميم أصول الدين ودراستها، وإثباتها بالأدلة المناسبة، وبالتالي يتيح الإجابة على الأسئلة والشكوك التي ترد على أصول الدين.

الفرع الرابع: جوانب التجديد في علم الكلام

-التجديد في المسائل: ذكر شبلي النعماني في مطلع كتابه (علم الكلام الجديد) أن علم الكلام القديم يُعنى ببحث العقائد الإسلامية، لأن شبهات الخصوم كانت ترتكز على العقائد فقط، بينما يجري التأكيد هذا اليوم على الأبعاد الأخلاقية والتاريخية والاجتماعية في الدين، وتتمحور الشبهات حول المسائل الأخلاقية والقانونية من الدين، وليس حول العقائد، وأدرج النعماني في هذا الكتاب مسائل جديدة مثل: حقوق الإنسان، وحقوق المرأة، والإرث، والحقوق العامة للشعب، بجوار مباحث وجود البارئ، والنبوة، والمعاد، والتأويل، وغير المحسوسات كالملائكة والوحي وغيرها، والعلاقة بين الدين والدنيا.[1]

-التجديد في الهدف: يعني تجاوز الغايات المعروفة لهذا العلم، التي تتلخص في الدفاع عن المعتقدات، إلى تحليل حقيقة الإيمان ومجمل التجربة الدينية.[2]

-التجديد في المناهج: من أهم المسائل التي كانت محطَّ بحثٍ بالنسبة للمتكلمين الجدد: مسألة المناهج المستعملة ومدى صلاحيتها لاستنطاق المعرفة الدينية، وقد ذهب الكثير منهم إلى انتهاء دور معظم المناهج القديمة، ومن الضروري البحث عن مناهج جديدة؛ "لأن المنهج في التفكير والممارسة هو الذي يضيء للأمة سبيل العمل للتفكير في تلك الحلول أو المنعطفات الجزئية".[3]

---

1 راضية فايزي وفاطمة الزهرة قريوي، التجديد الكلامي عند محمد عبد الله دراز، كلية العلوم الإسلامية، قسم أصول الدين، جامعة الشهيد حمة لخضر، 2020/2021م، ص9.

2 حيدر حب الله، علم الكلام ضروريات النهضة ودواعي التجديد، مجلة الحياة، علم الكلام الجديد قراءة أولية، 2015م، ص54.

3 سعيد عبيدي، علم الكلام الجديد كآلية من آليات اصلاح وتجديد الخطاب الديني، ص380-381.

ويرى حسن حنفي أن التجديد في المناهج يعني التحرر من المنهج الأحادي، والانفتاح على مناهج متعددة في البحث الكلامي، تشمل المناهج الهرمنيوطيقية (علم تفسير النصوص) والسيميائية (علم الدلالة) والتجريبية والبرهانية، والحقائق التاريخية.[1]

-التجديد في الموضوع: ويعني التحول من الاهتمام بقضايا وجود البارئ وصفاته والنبوة العامة والخاصة، والمعاد، إلى نطاق واسع يستوعب كافة القضايا الموجودة في النصوص المقدسة، سواء منها الناظرة إلى الواقع أم الناظرة إلى الأخلاق والقيم.[2]

ومن المواضيع المهمة التي يمكن أن تدرج في نطاق الفكر العقدي الحديث المبدأ الإنساني وقيمته الذاتية ومنزلته في الكون وغاية وجوده ومصيره، فهذه المسائل لم تنل الاهتمام في الفكر الكلامي الموروث إلا أن تكون جزئيات متفرقة في ثنايا موضوعات أخرى.[3]

-التجديد في اللغة: "بين الفكر واللغة علاقات وشائج لا يمكن تجاوزها أو تجاهل دورها. ولا شك في أن اللغة كائن حي يتطور باستمرار نتيجة الخبرات التي تضاف إلى رصيد الإنسان الفكري. وعلم الكلام علم يؤدى باللغة وتصاغ أفكاره بواسطتها، فمن الطبيعي أن يتجدد مع تجدد اللغة وتطورها".[4] "فيتحقق بالانتقال من لغة المتكلمين القديمة، ومعمياتها وألغازها، إلى لغة حديثة تعبر بيسر وسهولة على المداليل، ويفهمها المخاطب من دون عناء، لأنها لغة معاملاته وحياته اليومية"[5].

-التجديد في المباني: أن التجديد في المسائل، والموضوع، الهدف، المناهج واللغة يتطلب تجديدا في المباني خاصة وأن المتكلم اهتم فيما سبق بترسيم مباني خاصة في المعرفة، تستند إلى المنطق الأرسطي، وشيء من ميراث الفلسفة اليونانية، وجعلها ممهدة للمباحث الكلامية، بينما انهارت بعض تلك المباني حين اخترقت الفلسفة الأوربية الحديثة جدار الواقعية الأرسطية، وتعرض المفهوم التقليدي للعقل إلى عاصفة نقدية، مستندة في ذلك إلى معطيات فلسفة العلم والفيزياء الجديدة.[6]

---

1 حسن حنفي، علم الكلام ودواعي التجديد، مجلة الحياة الطيبة، العدد الأول، 2004م، شبكة الإمامين الحسنين، ص54.

2 حيدر حب الله، علم الكلام ضروريات النهضة ودواعي التجديد، ص54.

3 كوثر بن كريرة، مرتكزات التجديد ومعيار المجدد في ظل النوازل العقدية، مجلة مقاليد، ع4، مج7، 30/04/2021، ص89.

4 حيدر حب الله، علم الكلام ضروريات النهضة ودواعي التجديد، ص13.

5 المصدر نفسه، ص54.

6 عبد الجبار الرفاعي، مقدمة في علم الكلام الجديد، ص76.

فإن اشتمل التجديد جميع المجالات التي أشرنا إليها، فسنكون حينئذ أمام علم كلام يلبي المقاصد والغايات التي أنشئ من أجلها أول الأمر، لأن أبعاد كل علم تشكل نسيجا متكاملا فيما بينها، ويوحدها التأثير المتبادل، أي أن أي تحول في مجال يستتبعه تحول في سائر المجالات.[1]

فما هي ملاح تجديد علم الكلام عند الشيخ محمد المبارك؟ ذلك ما سنحاول أن نجيب عنه في هذا البحث، ولكن قبل ذلك سنحاول التعرف على حياة الشيخ محمد المبارك وأعماله.

1 عبد الكريم القلالي، مداخل التجديد الكلامي نحو رؤية تجديدية تكاملية، دورية نماء لعلوم الوحي والدراسات الإنسانية، ع4، 2020م، فاس-المغرب، ص87،88.

المطلب الثاني: محمد المبارك ترجمة موجزة

إبان الاستعمار الفرنسي للجزائر اضطرت الكثير من العائلات الجزائرية للهجرة ومغادرة الأراضي الجزائرية نحو المشرق العربي وخصوصا الشام، والتي كانت ولاية تابعة للإمبراطورية العثمانية، وكان الشام يستقبلهم برحابة صدر وقد استقرت في الشام عدة عائلات جزائرية ذات شأن في مختلف الميادين، ومن بين هاته العائلات عائلة المبارك التي ينحدر منها الأستاذ محمد المبارك، والذي سنتناول في بحثنا هذا ملامح التجديد في علم العقيدة من خلال مؤلفاته وأعماله، وتنتسب هذه الأسرة للجزائر حيث يقال محمد المبارك الجزائري، وذكر أبو القاسم سعد الله في كتابه أن عائلة المبارك من العائلات المهاجرة التي هاجرت بداية الاحتلال في الأربعينيات، وتميزت العائلة في بلاد الشام بإتقان اللغة العربية والتوسع في الأدب حيث أن هذه الصفة قد توارثتها أجيالها.[1]

الفرع الأول: مولده ونسبه

هو محمد المبارك الجزائري، الدمشقي، حسني، أديب، ناثر، لغوي، صوفي أصله من الجزائر.[2] من مدينة دلّس،[3] وينتسب إلى أشراف المغرب، فَيَصِلُ نسبها إلى الحسن بن علي رضي الله عنهما ونجد في ذلك ترجمة شقيق جده محمد المبارك. فهما ابنا محمد المبارك بن محمد الدلّسي القيرواني بن محمد الصالح بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الحاج بن علي بن قائد بن علي بن سلامة بن إبراهيم بن عبد الحكيم بن عبد الكريم بن عيسى بن موسى بن عبد السلام بن محمد بن جعفر بن عبد الجبار بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن سيدتنا فاطمة الزهراء وسيدنا علي رضي الله عنهما.[4]

ولد بدمشق عام 1914م في دار ملاصقة للمدرسة العادلية، وقد أصبحت هذه الدار ملحقة بالمجمع العلمي العربي، كما وتقع هذه الدار بالقرب من الجامع الأموي، وسكن الشيخ منزلا آخرا

---

1 أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر، ط1، لبنان، دار الغرب الإسلامي، 1998م، ج8، ص147.

2 أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر، ج5، ص521.

3 عمر رضا كحال، معجم المؤلفين، ط1، سوريا، مطبعة الترقي، 1380هـ/1960م، ج11، ص263.

4 الهاشمي قروف، محمد المبارك الجزائري وجهوده في الفكر الإسلامي، مذكرة ماجيستر في الدعوة الإسلامية، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2009/2008م، ص16-17.

أقرب للجامع من جهته الشرقية، حيث كان يتردد مع أقرانه من الحي على الجامع في أكثر أوقات فراغه للصلاة وللفسحة في رحابه الواسعة ولحضور الدروس التي لها حلقات كثيرة بعدد أكثر من الصلوات الخمس.[1]

الفرع الثاني: نشأته التعليمية ومسيرته العلمية

كانت البيئة التي نشأ فيها محمد المبارك-كما قال-بيئة محافظة على الأخلاق الإسلامية الموروثة، يحيا في ضوء الإسلام وتراثه ويعتز به، سواء ذلك الأسرة التي انحدر منها والحي الذي نشأ فيه، وكانت دار والده مرتادا للعلماء الوافدين من أرجاء البلاد الشامية والعربية، وكان دائم الحضور لتلك اللقاءات والندوات، وقد استفاد كثيرا من مكتبة جده، ومن ثم والده رحمها الله، وكان مكلفا بتزويدها بالمطبوعات الجديدة وتصنيفها كلما اختل ترتيبها، فقد ترعرع الشيخ في جو إسلامي صرف تُظله كل مقومات التربية الأصيلة، فكان بيته بجوار المدرسة العادلية وعلى مقربة من المسجد الأموي، ومما ميز فترة نشأته أن الأوساط العلمية لدمشق كان ذات جو إسلامي صرف.[2]

"نشأ محمد المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ في أسرة علم ودين وأدب. والده الشيخ عبد القادر المبارك رحمه الله كان عالماً للغة العربية وأستاذا لها في الثانوية الوحيدة في دمشق وقتها (مكتب عنبر) ثم في مدرسة الأدب العليا (التي صارت كلية الأدب العربي لاحقاً) وكان يسمّى القاموس السيّار لمعرفته المدهشة بمفردات اللغة العربية بما في ذلك الغريب والوحشي.

كانت علاقة محمد المبارك بأبيه قوية وحميمة أكثر من مجرد علاقة ابن بأبيه لا سيما وأنه الابن الأكبر. كان والده معلمه وأخاه الكبير، وكان يحاوره في مسائل لغوية وعلمية ويمازحه. وكان والدي يحدثني عن سعة صدر والده أن حوارهما في المسائل العلمية لم يمنع الاختلاف أحيانا فجدي كان صوفياً لكن والدي كان يرفض شطحات الصوفية. كان الشيخ عبد القادر المبارك يحب الرجولة ومظاهرها وكان يرى في ابنه محمد رجلا ويسميه أبا هاشم منذ نعومة أظفاره ومن الطرائف ما رواه

1 محمد المجذوب، علماء ومفكرون عرفتهم، ط1، دار الشواف، 1993م، ج1، ص229.
2 المرجع نفسه، ج1، ص259.

عمي الدكتور مازن (وهو يصغر والدي بـ 18 عاما) أنه في طفولته لم يكن يعرف أخاه الأكبر إلا باسم أبي هاشم."[1]

كانت مسيرة الشيخ الدراسية طويلة، وسارت على خطين متوازيين، أحدهما خط المدارس النظامية، والثاني الدراسة القديمة على الشيوخ وفي الحلقات، ففي النظامية درس الشيخ الابتدائية، ثم الثانوية منهيا بالفرع العلمي وبالشهادة التي تسمى يومئذ شهادة الباكالوريا الثانية فرع الرياضيات، وكان متفوقا في الدراسة الثانوية وخاصة اللغة العربية والرياضيات والفرنسية، وتابع الشيخ دراسته الجامعية بدمشق في الحقوق وفي الآداب وتخرج سنة 1935م، وفي خلال دراسة النظامية كان الشيخ يدرس مساءً، وفي الإجازة الصيفية على شيخ علماء الشام في عصره محمد بدر الدين الشهير بالحسني وكان أوسع أهل زمانه اطلاعا على العلوم الإسلامية القديمة، وقد لازمه منذ نهاية الدراسة الابتدائية حتى نهاية الدراسة الجامعية، حيث قرأ عليه النحو والصرف والتفسير المصطلح والفرائض وأصول الفقه والكلام والبلاغة والحساب والجبر والهندسة.[2]

سافر الشيخ إلى باريس موفدا في بعثة، نجح في مسابقتها حيث كان الفائز الأول للتخصص في الآداب ودرس في كلية الآداب من جامعة السوربون، وفي معهد الدراسات الإسلامية التابع لها، تابع دراسة الأدب العربي والثقافة، وعرف المستشرقين عن كثب ولم يجد عندهم مادة علمية يستفيد فيها بل كان يصحح لهم معلوماتهم.[3]

خصص الشيخ السنة الثانية من دراسته في جامعة باريس في دراسة الأدب الفرنسي وعصوره وأعلامه، ودرس على يد كبار أساتذة الأدب الفرنسي يومئذ. وأفادته هذه الدراسة في تذوق الأدب والقدرة على تحليل النصوص والاطلاع على النقد الحديث ونظرياته والمباحث اللغوية الحديثة، وخصص السنة الثالثة لدراسة علم الاجتماع وللدراسة بكثافة ومركزة لحضور،[4] المحاضرات والعكوف

---

1 مراسلة عن طريق الواتساب مع صالح المبارك ابن الشيخ محمد المبارك، يوم الثلاثاء 07 ماي 2024، على الساعة 12:18صباحا.

2 محمد المجذوب، علماء ومفكرون عرفتهم، ج1، ص233.

3 المرجع نفسه، ص233.

4 المرجع نفسه، ص233.

على المراجع وفي المكتبة، وقد كان أساتذة القسم من كبار العلماء الاجانب الفرنسين من تلاميذ دوركايم مثل فوكونه وهالفاكس.[1]

حصل الشيخ على شهادتي الحقوق ومدرسة الأدب العليا، وعمل في المحاماة قليلا، ثم أوفد إلى السوربون فنال إجازة معهد الدراسات الإسلامية وديبلوم علم الاجتماع والأخلاق، وعاد مدرسا فمفتشا بوزارة المعارف، وكُلِّف بوضع المناهج المدرسية باختصاص، وفاز بالانتخابات السياسية، واختير وزير للأشغال العامة والمواصلات ثم الزراعة واعتزل السياسة منصرفا إلى الأعمال العلمية، وكان أستاذا بكلية الشريعة بالجامعة السورية، وصار عميدها كما درس بكلية الآداب فيها، وانتخب عضوا في مجمع دمشق والقاهرة وبغداد، ورحل إلى السودان أستاذا في جامعتي أم درمان والخرطوم، ثم قصد مكة المكرمة، فعمل بجامعتها ثم بجامعة الملك عبد العزيز بجدة، وانتدبته هذه للتدريس بالجامعة الأردنية، وأسهم في التخطيط العلمي لعدد من الجامعات العربية والإسلامية.[2]

وقد نال الشيخ شهادات علمية بعد مسيرة تعليمية حافلة وهنا أبرز الشهادات التي نالها الأستاذ:

- شهادة الحقوق من الجامعة السورية 1935م.
- شهادة مدرسة الادب العليا السورية 1935م.
- شهادة الليسانس في الآداب من السوربون جامعة باريس 1937م.
- شهادة علم الاجتماع والأخلاق من جامعة باريس 1938م[3].

وكانت ثقافته ودائرة اهتمامه متوزعة في مجالات اللغة والأدب العربي، حيث درَسها على والده وعلى شيخه محمد بدر الدين ثم الأدب الفرنسي في فرنسا.

وقد درس الأدب العربي في مختلف عصوره في المدارس الثانوية، ثم دار المعلمين العليا التي أسست في كلية الدراسات الإسلامية، درَسها أيضا على والده وعلى الشيخ محمد بدر الدين.[4]

---

1 المرجع نفسه، ص234.

2 نزار أباظة ومحمد رياض الصالح، إتمام الأعلام، ط1، بيروت، دار صاد، 1999م، ص253.

3 فتيحة دوار، مؤلفات المفكر الجزائري محمد المبارك–دراسة تحليلية نقدية، كلية العلوم الإسلامية جامعة الجزائر1 بن يوسف خدة، م19، ع2، مجلة رسالة المسجد، ص81.

4 محمد المجذوب، علماء ومفكرون عرفتهم، ج1، ص235.

الفرع الثالث: آثاره وأقوال العلماء وبعض المقربين فيه

باشر الشيخ البحوث العلمية في وقت مبكر من حياته، عندما كان طالبا، فقد درس في تاريخ الرياضيات عند المسلمين، ونشر بحث في التجارب العلمية عند المسلمين، ونشرتها الريحان البيروني في الكشافة سنة 1934 في مجلد الرسالة، وكتب في التشريع الإسلامي مع مقارنة بالتشريع الغربي وقع عليها طلاب الحقوق يومئذ، وقدمت للجنة المؤلفة للنظر في الموضوع في سنة 1935م، وقد نشرها في كتابه الفكر الإسلامي سنة 1957م، وقد ألف كتاب فقه اللغة، وكتاب خصائص العربية، وفي سنة 1959م ألف كتاب الأمة العربية في معركة تحقيق الذات والذي كان من ضمن إثبات من تفصلون العرب عن الإسلام وحبايبهم للعرب، وفي نفس السنة ألف كتاب الأمة والعوامل المكونة لها، وألف أيضا كتاب من منهل الأدب الخالد وفي ما يلي قائمة مؤلفات أخرى للشيخ:

- نحو إنسانية سعيدة 1957م.
- نظام الإسلام 1957م.
- العقيدة في القرآن الكريم 1968م.
- الفكر الإسلامي الحديث في مواجهة الأفكار العربية 1969م.
- المجتمع الإسلامي 1969م.
- نظام الإسلام العقيدة والعبادة 1975م.
- نظام الإسلام العقائدي في العصر الحديث 1989م.
- الدولة ونظام الحسبة عند ابن تيمية 1972م[1].

أقوال العلماء والمقربين فيه:

كان الشيخ محمد المبارك من بين العلماء الذين لم ينالوا نصيبهم من البحث ولم يتم التطرق كثيرا لمسيرته العلمية وإنتاجاته الفكرية ومجهوداته الإصلاحية والتجديدية.

- أم هاشم المبارك (زوجة الأستاذ محمد المبارك): "أكثر ما هو واضح في شخصية زوجي هو ذلك الاهتمام الكبير بأمور المسلمين حيث يهتم لمصائبهم ويفرح بانتصارهم".

1 محمد المجذوب، علماء ومفكرون عرفتهم، ص235.

الشهادة تبين أمرا قد ندر وجوده في هذا الزمن، وهو مع ذلك صفة لا تبرح العلماء الربانين العاملين في هذه الأمة، فكم من مشتك وباك على حاله؟ في حين يعز عليك أن تجد شاك وباك على حال أمته، ولا يحتاج لاكتشاف هذا الأمر في الأستاذ كبير عناء، إذ حمل هم الرسالة ظاهر من كثرة وتنوع نشاطه من بداية حياته إلى ختامها، ويكفي تصفح سيرته العلمية.[1]

– مازن المبارك (الأخ الأصغر للأستاذ محمد المبارك): "إن أبرز ما يميزه عندي أمران: الأول أنه لا يعرف الراحة التي يعرفها الناس ولا يطلبها، فما رأيته في حياتي كلها إلا وهو في عمل جاد. فإذا تعب جسمه أو اعتل وذهب ليستريح في المدينة أو في المصيف، كان أو في عمل آخر من قراءة كتاب أو كتابة بحث، لا يفتر عن واحدة منهما حتى بين الرشفة من الشاي الأخضر الذي كان مغرما به، الثاني أنه كان يبين أكثر ما يتصل به أو بأهله ولا ينسى أمرا يتصل بمصلحة إسلامية، فإذا أوصته زوجته على دواء نسيه وإذا أوصته على كتاب نسيه، وإذا كان له موعد عند الطبيب أو خياط نسيه (وذكر أنه نسي حتى موعد عرسه، ما كان أيقض بالإسلام حسب وما كان أخضع للإسلام سلوكه ونفسه.

في هذه الشهادة تتأكد أهمية الرسالة والعيش من أجلها لدى الأستاذ، إضافة إلى قيمة الوقت واستغلاله في الأنفع ولو على حساب مصالحه الشخصية.[2]

– صالح المبارك (الابن الاصغر): ربما لو أتيح لي تلخيص سيرة والدي محمد المباركرَحِمَهُ اللَّهُ في كلمة واحدة لقلت هي(التوازن) توازن بين حاجات النفس والأهل والمجتمع والرب. ولعل سيرته الذاتية تعكس هذا التصور إلى حد كبير. لم يكنرَحِمَهُ اللَّهُ تقليديا بأي شكل فقد كان حريصاً على استعمال عقله ضمن ضوابط الشرع وطالما خالف الأعراف المتبعة لأنها لم تستقم له فقد كان دائما محافظاً على المواعيد، بعيداً عن المجاملات الزائدة أو الكاذبة، صريحاً مع الآخرين إلى حد بعيد. كان والديرَحِمَهُ اللَّهُ على صلة حسنة بمفكرين وعلماء وزملاء من شتى المشارب الدينية والفكرية وكنت أرى في مجلسه المسلم والمسيحي وغير ذلك.

---

1 فتيحة دوار، الدرس العقدي عند محمد المبارك، ص42.

2 المرجع السابق، ص42.

من الأمور التي أذكرها فيه دوماً وقد أثّرت إيجابياً في حياتي هو ترفعه عن التوافه والأمور المادية واهتمامه بقضايا الأمة إلى درجة كبيرة. وما كان يزعجه هو تضييع الوقت فيما لا ينفع.

كان محمد المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ حريصاً على حرمات الدين والقيام بالفروض وبعض النوافل وتجنب المعاصي وكان يؤكد علينا ذلك بقوله وفعله، لم يكن ممن يكثرون النوافل مثل قيام الليل وصيام التطوع ولكنه كان يؤكد على أهمية مساعدة الآخرين وأداء الحقوق والابتعاد عن الظلم بأي شكل كان.

كان والدي يقول أن في الإسلام نظام نسب فليس المشكلة فقط فيمن يبتدعون أموراً ليست من الدين أو من يحذفون أمورا هي من الدين ولكن المشكلة أيضا فيمن يشوّهون النسب لما هو موجود في الدين فيعطون أهمية أكبر لأمرٍ ما على حساب أمرٍ آخر، وهناك الكثير من الأمثلة التي كان يضربها، وأذكر قوله لي: الكاريكاتير هي صورة حقيقية لشخص ما ولكن الرسام تلاعب بأحجام الأعضاء (العيون-الأنف-الشفتين-الأذنين-الذقن-الجبهة) فصغّر بعضها وكبّر الأخرى فجاءت الصورة مشوَّهةً ساخرة... وكذلك الإسلام حين تتلاعب بنسبه فتعطي قضية أعطاها الإسلام 10 بالمئة أهمية مقدار 60 بالمئة بينما تنزل أهمية قضية أخرى من 70 بالمئة إلى 5 بالمئة فيأتي الإسلام مشوَّهاً محرّفاً.

وقد كتب قبيل وفاته (عام 1981) أسطراً فيها معنىً عميق نراه اليوم: يمتاز الجيل الإسلامي الجديد في أكثر البلدان الإسلامية بوعي إسلامي أشمل وأعمق، وهو في نموّ إذا لم تنجح القوى الخارجية بمختلف وسائلها المؤثرة لتعويق سيره وإضعافه وتطويقه. ولكن خطراً آخر داخليا يهدده وهو انقسام هذا الجيل إلى تيّارات متباينة في فهمها للإسلام وتركيز كلٌّ منها على جانب دون جانب واستشعارها الجفاء فيما بينها بسبب هذا الاختلاف في الفهم والتصور. وما لم يزل هذا الشعور بالجفاء من كل فريق فالنجاح بعيد والإثم واقع على الجميع في مجافاة فئة مسلمة، سواء أكانت مصيبة في فهمها للإسلام أو مخطئة.[1]

- وهبة الزحيلي: "إن محمد المبارك مدرسة إسلامية عريقة، وينتمي لأسرة رضع فيها الإسلام فتتلمذ على والده عبد القادر. ثم عمل في السياسة وفي التدريس والتأليف، وكانت مؤلفاته تدل على عمقه في

1 مراسلة عن طريق الواتساب مع صالح المبارك ابن الشيخ محمد المبارك، يوم السبت 25 ماي 2024، على الساعة 08:50 مساء.

فهم الإسلام والدفاع عنه، وقد استطاع في محاورته مع كبار المستشرقين أن يفند عنه كل التهم والشبهات التي وجهها هؤلاء إلى الإسلام، وهو الأمين المخلص للثقافة الإسلامية من أجل رفع لواء الإسلام في كل المجالات، وقد عرفته الجامعات الإسلامية-سوريا والأردن والسعودية-من المفكرين المبدعين الذين يناضلون من أجل رفع كلمة الإسلام وبيان أصوله في العقيدة والسياسة والاجتماع والاقتصاد، مما يدل على أن المبارك شخصية متميزة، وكان عميق الفكر واسع الأفق مدركا للغايات الكبرى التي يقوم عليها نظام الإسلام ظاهر من على محياه، مترحما عليه مفتقدا إياه، وفي شهادته بين بالأمين، كما ذكر أنه صاحب منهج متميز في الدعوة".[1]

- يوسف القرضاوي: "الأستاذ المبارك كان من الناس الذين جمعوا بين الثقافتين، وهذا هو العنصر المفقود الذي نشكو من ندرته، بل من فقدانه من حياتنا...كان الأستاذ المبارك من الذين يفكرون بالإسلام ويفكرون للإسلام وهكذا لهذا الدين عاش بهذا الدين، هو أحد العقول القلائل في العالم الإسلامي التي تفكر بالإسلام وإن أحببنا أن نعد عشرة عقول في العالم الإسلامي تفكر للإسلام وبالإسلام لكان الأستاذ المبارك من ألمعها...إن من خصائص فكر الأستاذ محمد المبارك النظرة الشمولية للإسلام، أن عيب الكثيرين أنهم يأخذون الإسلام مجزءً يتميز الأستاذ المبارك بالاعتدال، والتوازن، أنه يحاول أن يقف الموقف الذي وصف الله به أمة الإسلام ((وكذلك جعلناكم أمة وسطا))".

يشيد الدكتور يوسف القرضاوي بثقافة الأستاذ الإسلامية والغربية، كما أوضح صفة أخرى في شخصية الأستاذ؛ مفادها أن الأستاذ رغم انتماءه للإسلام وتقيده به إلا أنه لا تأسره المذاهب فيها فيقف موقف المعارض والمعادي لبعضها ضد بعض...لأنه يدرك أن الحق ليس نصرة مذهب على آخر وإنما تلمُّس الحق في ذلك.[2]

- حسني أدهم جرار: "كان رحمه الله باحثا وأديبا متميزا، ورائدا من رواد الفكر الإسلامي المعاصر... كان عالما متفتح الذهن...آتاه الله علما واسعا وذكاء حادا ورأيا سديدا، وبصيرة نافذة وقدرة على

1 المرجع السابق، ص44.

2 المرجع نفسه، ص44.

الحوار... كان من الناس الذين جمعوا بين الثقافة العربية والإسلامية والثقافة الغربية وجمع بين الدراسة الدينية والدراسة المدنية... وكان لهذا الجمع أثر واضح في وعيه وتفكيره ونشاطه".

النصوص السابق ذكرها كلها تثني على الأستاذ رَحِمَهُ اللَّهُ في جوانب متعددة في شخصيته وزاده العلمي وخدمته للإسلام، ولم أطلع على من ذمه أو هجاه وربما يعود هذا الأمر لعدم شهرة الأستاذ أو لشخصيته الاحتوائية التي ركزت على إيجابيات الآخرين بدل السلبيات فلم يكن هو بدوره له من ينكر عليه صنيعه.[1]

الفرع الرابع: وفاته

توفي رَحِمَهُ اللَّهُ بعد مسيرة علمية حافلة بالعطاء، وخبر وفاته أوردته ابنته الكبرى "الوالدة مع أختي الصغرى جمانة كانتا معا في زيارة المدينة المنورة آنذاك حيث صلى فجر يوم الخميس الثاني من ربيع الأول 1402هـ الموافق ل5 ديسمبر1981م في المسجد النبوي وعاد معها إلى الغرفة ثم نزل بعد ذلك من الفندق حيث كان بانتظاره في السيارة أحد الأساتذة الجامعين ثم قال كلماته الأخيرة قرب البقيع (هنيئا لمن يدفن في البقيع) وتوفي بعدها بوقت قصير في السيارة إثر نوبة قلبية، وكانت صلاة الجنازة عليه بعد صلاة الجمعة في المسجد النبوي، وتمت صلاة الجنازة عقيب صلاة الجمعة، حضرها عشرات الآلاف من المسلمين، ودفن في مقبرة البقيع بالمدينة حيث كان يتمنى، وكان قبيل وفاته بيومين يحاضر في جامعة الملك عبد العزيز بجدة".

تلك هي نهاية مسيرة رجل أنفق من حياته جزءً معتبرا لخدمة هذه الأمة فكانت خاتمته كما تمنى رَحِمَهُ اللَّهُ.[2]

---

1 المرجع نفسه، ص46-47.

2 فتيحة دوار، مؤلفات المفكر الجزائري محمد المبارك-دراسة تحليلية نقدية، ص81.

مما سبق يتبين أن علم الكلام من العلوم التي نشأت في الحضارة الإسلامية، ومن أهم الأدوار التي نشأ من أجلها هذا العلم هو الدفاع عن العقيدة الإسلامية، وكغيره من العلوم مر بمرحلة ركود وجمود، لكن هذا التوقف لم يزل إلى أن بدأت بوادر النداء إلى تجديد هذا العلم.

الشيخ محمد المبارك من رموز الأمة الإسلامية العربية، الذي كرس حياته في خدمة الأمة واجتهد على مستوى الفكر والتطبيق طول حياته، وقد أفنى حياته في خدمة الإسلام وكان له دور هام في الدعوة إلى تجديد علم العقيدة ويظهر ذلك جليا في مؤلفاته، ومن أهم مؤلفاته التي يبرز فيها، مجموعته التي سماها نظام الإسلام.

المبحث الأول

مجالات ومبررات التجديد في علم الكلام عند الشيخ المبارك

في هذا المبحث سنذكر أن شاء الله مداخل التجديد الكلامي عند الأستاذ المبارك، ويليه مباشرة تقويم الأستاذ المبارك للتراث، والذي يشكل مبررات قوية للدعوة إلى تجديد علم الكلام.

المطلب الأول: مجالات التجديد عند الأستاذ المبارك

الفرع الأول: التجديد على مستوى مواضيع العقيدة

الفرع الثاني: التجديد على مستوى المنهج

الفرع الثالث: التجديد على مستوى الوسائل

الفرع الرابع: التجديد عل مستوى اللغة

المطلب الثاني: مبررات التجديد عند الأستاذ المبارك

الفرع الأول: قصور علم العقيدة التقليدي عن مواجهة التحديات المعاصرة

الفرع الثاني: التحديات العقدية المعاصرة

الفرع الثالث: نقائص سابقة وراهنة لدرس العقيدة

الفرع الرابع: مشروعية ووجوب الاشتغال بعلم الكلام

المطلب الأول: مجالات التجديد عند الأستاذ المبارك

يعتبر محمد المبارك من أولئك العلماء البارزين في علم الكلام حيث تميز بتطلعه الدائم نحو التجديد، يعكس هذا موروثه العلمي الغني والعميق بتقديم المساهمات التي تعزز الفهم للقضايا الدينية والفلسفية مع مناهج تعلمية مبتكرة تتوافق مع تطلعات العصر الحديث، كما سعى للتجديد في مواضيع الإيمان والعقيدة بتقديم وجهات نظر عديدة تساعد في تسهيل فهم العقيدة الإسلامية مع الحفاظ في الوقت نفسه على جوهرها.

وتميّز محمد المبارك بمحاولاته الجمع بين الأصالة والمعاصرة في طرح قضايا العقيدة الإسلامية مع الاستفادة من المناهج العلمية الحديثة في البحث والتحليل. وقد اشتمل التجديد في العقيدة عند محمد المبارك على أمرين أساسيين هما: المنهج والموضوع[1].

الفرع الأول: التجديد على مستوى مواضيع العقيدة

قام الشيخ المبارك بعرض جديد للعقيدة الإسلامية بالعودة للقرآن الكريم نفسه لاستخراج عناصر هذه العقيدة وأسس الإيمان ولمعرفة أساليب القرآن الحيّة وطرقه المتنوعة في إيصالها للإنسان، انطلاقا من نفسه ومن الكون الذي يعيش فيه إلى الإيمان بالله وبالحياة الآخرة وعرض ذلك كله عرضا يتناسب وأساليب العصر[2]. كما ركّز المبارك على كُبريات المسائل في العقيدة ففي كتابه (العقيدة) تناول التوحيد كما تناوله القرآن ثم عرض الكون وأنهاه بالحديث عن الإنسان والصفات الإلهية كما عُرضت في القرآن. وقد شمل التجديد في المواضيع عنده الآتي:

1-التجديد في عرض المواضيع:

عرض القرآن الكريم مواضيع العقيدة بشكل متوازن وهذا ما أكد عليه المبارك في مؤلفاته، وقد أخذتْ مؤلفات علم الكلام اتجاها آخر بحيث تم تضخيم بعض الجزئيات في العقيدة كمسألة البعث الجسماني ومفهوم الرزق، بينما أخذت مواضيع كلية وأساسية في العقيدة مواضع أصغر، كموضوع

---

1 فتيحة دوار، الدرس العقدي عند محمد المبارك، (مذكرة ماجستير في العقيدة)، كلية العلوم الإسلامية، الجزائر، 1431هـ/ 2005م، ص121.

2 محمد المبارك، العقيدة في القرآن الكريم، (لا. ط)، بيروت، دار الفكر، (د. ت)، ص7.

العلاقة بين الله والعبد أو بين الإنسان والكون أو أثر الإيمان بأسماء الله وصفاته على عقيدة الإنسان وسلوكه.

عمل المبارك في مؤلفاته على إعادة ترتيب قضايا العقيدة وفق القرآن الكريم كما أشار إلى أنه يجب أن تعرض العقيدة مع توضيح مكانها ضمن نظام الإسلام ككل فيقول: "يجب أن يراعى في عرض العقيدة الإسلامية أنها المنطلق لبناء النظام الأخلاقي والنظام التشريعي، لذلك يجب أن يظهر في عرضها أنها أصل لهذه الفروع. وأن تبدو فيها مرتكزات ومستندات هذه النظم"[1]. إلى جانب ذلك ناقش المبارك قضايا العقيدة المعاصرة من القرآن الكريم.

2-ترتيب المواضيع:

يرى المبارك أن مواضيع العقيدة أولويات تقتضيها ترتيب أصول العقيدة وفروعها، أو قضاياها الكبرى والأخرى جزئية يقول المبارك: "أن يكون عرض العقيدة الإسلامية مقتصرا بادئ ذي بدء على معالمها الكبرى وأسسها دون دخول في التفصيلات والجزئيات والخلافات".[2] ففي كتاباته أعطى أهمية كبيرة لمبحث الإله والذي تندرج تحته مواضيع العقيدة الأخرى كالنبوة والبعث. وفي ذلك تأكيدٌ على التركيز على مسائل العقيدة الكبرى.

3-نماذج للتجديد في عرض مواضيع العقيدة عند محمد المبارك:

أ-الوحي كما عرضه الشيخ المبارك: لقد لحق الوحي الكريم عدة شبهات رامت نزع القداسة عنه وتمثلت في القول بأنّ الوحي "كما يظن الماديون السطحيون، من نوع الخواطر النفسية والإلهامات الفكرية"[3].

كما ذهبوا إلى القول أيضا بأنه عبارة عن حالة صرع أصابت النبيﷺ، كما ربط بعض المستشرقين والملحدين بين الوحي والجن والشياطين، وأن النبيﷺ تلقى الوحي منهم، كما أدعى البعض أن محمداﷺ تلقى الوحي من بعض اليهود والنصارى الذين كانوا يسكنون أطراف مكة.

---

1 محمد المبارك، نظام الإسلام-العقيدة والعبادة، ط1، بيروت، دار الفكر، 1388هـ/ 1968م، ص6.

2 المرجع نفسه، ص6.

3 محمد المبارك، نظام الإسلام-العقيدة والعبادة، ط1، ص116.

وفي عرضه لمفهوم الوحي يرى الشيخ المبارك "أن عامة الناس لا يستطيعون أن يتصوروا نوعا من الشعور والمعرفة والكشف لم يتذوقوه ولم يمروا بتجربته مما يفوق قدرتهم وطاقتهم"[1]. ويضيف المبارك: "وإذا كنا لم نستطع أن نعرف حقيقة انتقال الأفكار وقراءتها في العصر الحديث مع أن ذلك أمر واقع مشاهد فكيف يمكن أن نعرف حقيقة تلك الحادثة العظمى التي هي اتصال شخصية روحية عظيمة بما وراء الكون أو بخالق الكون وعالم الغيب"[2].

وفي تفسيره للوحي عاد المبارك للقرآن الكريم والسنة النبوية حيث قال إن الوحي هو: "حادثة روحية من نوع خاص لا نستطيع إدراك كنهها ولكنّنا نرى أثارها ونتائجها وجوهرها وأهمّ عناصرها تلقي النبيﷺ معاني وكلام بطريقة خفية من قبل القدرة الإلهية تلقي وعي وإدراك"[3]. وما ورد من آيات وما روي من وصف النبي العربي صلوات الله وسلامه عليه، أو وصف الصحابة لمظاهره التي يرونها يدل على ما قلناه على أن الوحي حادثة من نوع خاص وأنه تلقي للأفكار ومعاني وكلام وأنه قائم على وعي وإدراك عقلي كامل[4].

وذكر المبارك بعض الآيات القرآنية والأحاديث الواردة في موضوع الوحي منها:

قال الله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إلا وَحْيًا أو مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أو يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّه عَلِيٌّ حَكِيمٌ**﴾ [الشورى: 51]

ويقولﷻ أيضا: ﴿**إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إلى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إلى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا (163) وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا (164) رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا**﴾[النساء: 163-165].

---

1 المرجع السابق، ص115.

2 المرجع نفسه، ص115.

3 المرجع نفسه، ص117.

4 المرجع نفسه، ص117.

وعن عائشةرضي الله عنها أن الحارث بن هشامرضي الله عنه سأل الرسولﷺ فقال: يا رسول الله، كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول اللهﷺ: «أحيانا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الجَرَسِ، وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ، فَيُفْصَمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ، وَأحيانا يَتَمَثَّلُ لِيَ المَلَكُ رَجُلًا فَيُكَلِّمُنِي فَأَعِي مَا يَقُولُ».[1]

ب–الآخرة كما عرضها الشيخ المبارك:

عرض المبارك الآخرة كما عرضها القرآن الكريم؛ أولا: بالإشارة للجانب العقلي المباشر وذلك ببيان إمكانية الحياة الآخرة، وثانيا: بإخبار الأنبياء عنها بعد أن تثبت نبوتهم.

ويتضمن الطريق الأول عددا من المعاني والأفكار والاستدلال عليها، كدورة حياة النبات الذي يذبل، وأيضا دورة حياة الإنسان[2].

وذكر القرآن عدة حجج عقلية على إثبات الآخرة من القرآن الكريم واستخلص أن عرض القرآن الكريم للعقيدة كان عرضا عقليا لا يمكن إنكاره فيقول: "وهكذا عرض القرآن الحياة الآخرة عرضا يستسيغه العقل ودعا إلى الإيمان بها دعوة تقنع غير المكابر المتعنت وصاحب الهوى والغرض"[3].

أما الطريق الثاني في إثبات القرآن الكريم للحياة الآخرة والجزاء بذكر ما يكون فيها فكان طريقا عقليا غير مباشر، دعا إلى الإيمان بالرسل، وجعل لكل مقتنعا مع عصره، وجعل لخاتم النبيئين الذي هو أول رسول أُرسل إلى الناس كافة لا يختص بقوم ولا بعصر[4].

ثم تطرق المبارك إلى الاستدلال على الآخرة بذكر ما قاله بعض المفكرين في توثيق الاستدلال، وهو أن البشر في حياتهم الدنيوية لا يستوفون في كثير من الأحيان جزاءهم، فقد يموت المظلوم واليائس منهم دون أن ترفع ظلامته، ويموت الظالم دون أن يستفاد منه خصمه ويؤخذ منه مخصمته، ويؤخذ منه الحق بينما يرى أن ظواهر الكون في هذا الوجود يكمل بعضها بعضا حتى يتم في الكون التوازن والانسجام[5].

---

1 البخاري، صحيح البخاري، كتاب باب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول اللهﷺ، حديث رقم2، ج1، ص6.

2 محمد المبارك، نظام الإسلام–العقيدة والعبادة، ط1، ص 170.

3 المرجع نفسه، ص170.

4 المرجع نفسه، ص171.

5 الرجع نفسه، ص171.

إلى جانب الطريق العقلي أولى المبارك أهمية للجانب الوجداني في حديثه عن الآخرة لأن القرآن الكريم في عرضه للعالم الآخر لم يكن عقليا بحتا بل كان يخاطب القلب يقول: "يقتصر إيمان المؤمنين بالحياة الآخرة على الجانب العقلي بحصول القناعة بها بل حرص الإسلام-كما يبدو للمتأمل في آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسولﷺ-على تحريك العواطف وحدوث الانفعال النفسي للإنسان المتفكر في مصيره"[1].

فذكر تصوّر الإنسان لمصيره الأبدي إما شقاء أو نعيما وهذا التفكير يحدث قلقا للمصير وسلوك يتناسب مع رغبة الإنسان في تحديد هذا المصير.

الفرع الثاني: التجديد على مستوى المنهج

يعد التجديد على مستوى المنهج واحدا من الطرق التي اعتمدها الشيخ المبارك في تناوله لمواضيع العقيدة. وقد اشتمل التجديد على مستوى المنهج ما يلي:

أ-اعتماد النظرة الشاملة في عرض العقيدة:

امتاز التجديد في منهج عرض العقيدة عند الشيخ المبارك بتركيزه على إبراز شمولية العقيدة وترابطها داخليا في مواضيعها حيث يقول المبارك: "أن تعرض العقيدة على أنها نظرة شاملة مترابطة"[2].

ب-اعتماد أسلوب العصر ومنهجه في عرض العقيدة:

اتسمت كتابات الشيخ المبارك العقدية بالبساطة في الأسلوب والمباشرة في الخطاب ويكفي الاطلاع على مؤلف من مؤلفاته للتأكد من ذلك، وفي هذا الإطار دعا إلى ضرورة اعتماد البساطة في أسلوب منهج البحث والاستدلال في عرض العقيدة بما يتناسب مع لغة العصر ومنطقه، ويقول في هذا الشأن: "أن يسلك في عرضها أسلوب العصر الحديث من حيث التعبير ومناهج البحث والاستدلال بدلا من أن يسار فيها وفقا لطرائقهم في البحث التي تأثروا فيها بنظريات ومفاهيم

---

1 المرجع السابق، ص177.

2 محمد المبارك، نظام الإسلام-العقيدة والعبادة، ط2، بيروت، دار الفكر، 1423هـ/ 2003م، ص5.

الفلسفة القديمة التي تبدلت اليوم وحل محلها مفاهيم ونظريات أخرى لاسيما مع اتساع آفاق الكشف العلمي للكون أو الطبيعة"[1].

ودعا الشيخ أن تكون أدلة علم الكلام وفق المنهج القرآني الواضح للخروج من حالة التعقيد التي وصل إليها علم الكلام فيقول: "وجميع الأدلة المعروفة وفي فلسفة ما وراء الطبيعة مبثوثة من القرآن الكريم، ولكن بطريقة حيّة، وبأسلوب يمكن أن تفهمه الخاصة والعامة"[2].

ويقول أيضا:" إن عرض الإيمان بمنهج القرآن الكريم من شأنه أن يجعل هذا الإيمان مستساغا عند الخاصة والعامة، فيعود هذا القرآن إلى تحريك النفوس ودفع الإنسان إلى إقامة حضارة مبرأة من شوائب المذاهب المادية"[3].

ج–الأصالة:

يقول المبارك: "يجب كذلك تأويل النصوص القرآنية رغبة في التوفيق بينها وبين النظريات والفلسفات الحديثة والاكتفاء بمعرفة الموقف الحقيقي للإسلام، ذلك أن للإسلام ذاتية مستقلة يجب أن تُعرض وتُجلى حتى تُعرف أصالتها".[4]

وفي هذا دعوةٌ للحفاظ على أصالة الإيمان وأصالة العقيدة بأخذها من مصدرها الأصلي وليس مصادر الآخرين كما حدث مع بعض الفلاسفة حينما حاولوا التوفيق بين الإسلام وفلسفة اليونان كابن رشد والغزالي وغيرهم.

د– إظهار الأثر العملي للعقيدة:

"وأما العقيدة التي جاء بها القرآن، فقد كانت قوه فعّالة، محركة غيرت مجرى التاريخ وبدلت معالمه الحضارة، ونشرت مفاهيم جديدة للحياة، وأقامت على أساسها حضارة رائعة كان القرآن دستورها والعربية لغتها ومبادئ المساواة والعدل والإنسانية أسسها"[5].

---

1 المرجع السابق، ص5.

2 محمد المبارك، العقيدة في القرآن الكريم، ص32.

3 المرجع نفسه ص44-45.

4 محمد المبارك، نظام الإسلام–العقيدة والعبادة، ص6.

5 انظر: محمد علي النجار، اتجاهات تجديد الفكر العقدي عند أهل السنة في العصر الحديث، مذكرة ماجستير في العقيدة والفلسفة الإسلامية، قسم العلوم الإسلامية الأساسية، اسطنبول، 2022م. ص58.

حيث حرص على بيان كل أثر عملي يرتبط بأي ركن من أركان للعقيدة الإسلام كما فعل في عقيدة الإيمان بالله والإيمان باليوم الآخر.

هـ-تصحيح المفاهيم المعاصرة:

ما ميز كتابات الشيخ المبارك أنها كانت تتناول إشكالات العصر الحديث في أغلب حديثها فكانت تصف حياة المسلمين، والأفكار الخاطئة والرائجة في المجتمع المسلم المعاصرة فكان في عرضه يسعى لتصحيح تلك المفاهيم وإعطاء تصور صحيح عليها من القرآن والسنة يقول الشيخ: "وأما التوكل فقد فهمه المتأخرون في عصور الانحطاط أنه ترك للأسباب ولم يكن كذلك ما يوحي به القرآن كتاب الله ولا أحاديث النبي الكريم ولا فهم الصحابة وسيرتهم"[1]. ويقول "فقد ورد في القرآن الكريم ﴿**فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ**﴾ [آل عمران: 159] فجاء التوكل في الآية الكريمة تالٍ لعزم الإنسان. وورد فيه كذلك الأمر بالدفاع وقتال الأعداء والسير في الأرض والابتغاء من فضل الله أي الكسب ولو كان معنى التوكل عدم الأخذ بالأسباب لما أمر الله تعالى بهذه الأوامر"[2].

الفرع الثالث: التجديد على مستوى الوسائل

يعد التجديد في الوسائل من ضمن منهج المبارك في عرض العقيدة ومن الوسائل التي اعتمدها الخطاب الوجداني واستخدام لغة العلم كما في مناقشة موضوع السببية وتركيزه على الآثار العملية للإيمان واعتماده الخطاب البسيط المباشر.

ولعل أبرز الوسائل التي تميز بها المبارك في التصنيف إشارته للفطرة والوجدان جنبا إلى جنب مع الاستدلال العقلي والنظري، إذ يرى أنه من الخطأ اعتماد أحد المسلكين دون الآخر، فيؤكد المبارك على أن الواجب في مسائل الاستدلال العقدي عدم الاقتصار على الجانب العقلي والنظري فقط.

1 محمد المبارك، نظام الإسلام والعقيدة والعبادة، ص13.

2 المرجع نفسه، ص13.

الفرع الرابع: التجديد على مستوى اللغة

اجتهد العلماء في دراسة اللغة العربية وذلك لما لها من مكانة، ففهمُها فهما جيدا يُعيننا على فهم الوحي والرسالة القرآنية، كما أن التطور فيها كان موازيا للتطور في علم الكلام والفقه وأصول الفقه، وعند تقهقر البحث في العلوم الإسلامية نالت اللغة العربية نصيبها من هذا التراجع فنالها الجمود وتراجع فيها الإبداع وتلاشى تأثيرها.

ويرتبط القرآن الكريم واللغة العربية ارتباطا وثيقا وهو أسمى ما يكون ارتباطا عقديا، فالقرآن الكريم يعد مثالا حيا على جماليات اللغة العربية وغناها اللغوي ويعكس مدى تنوعها وعمقها في التعابير والمفردات.

وقد كان اهتمام الشيخ المبارك باللغة العربية منذ طفولته بسبب المحيط الذي نشأ فيه كما أشرنا في المبحث الأول فنال شهادتين في الدراسات اللغوية أحدهما في الأدب العربي والآخر في الأدب الفرنسي من جامعة السوربون.

كان الغرب متطورا في مجال اللغة واللسانيات وفلسفة اللغة وفقه اللسانيات، واللسانيات العامة فأراد المبارك أن يستفيد من هذا التطور ويطبقه على اللغة العربية مع الحفاظ على قدسيتها.

حاول المبارك التجديد في اللغة من خلال دراسة النصوص الأصلية العربية مع المناهج الحديثة المستقاة من الفكر، واختار نصوصا من كتاب البخلاء كما دعا إلى التجديد باستخدام النظريات اللغوية الحديثة وذلك في كتابه (فقه اللغة). يقول المبارك: "من خلال النظرات الحديثة والأبحاث المقارنة في فقه اللغة دون أن ندخل الضيم على العربية أو أن نلحق بأصولها وخصائصها غبنا وظلما. فلم نحاول أن تكون دراستنا تقليدا أو احتذاء لدراسة اللغات الأخرى، فإن للعربية عبقريتَها وخصائصها لذلك لم نأخذ من النظرات الحديثة إلا اتجاهها ومناهجها ومسائلها العامة المشتركة بين اللغات"[1].

إن اهتمام المبارك باللغة العربية بكونها لغة الرسالة، وإتقانها هو إتقان لفهم الرسالة، فالعلاقة بين الإسلام والعربية لا يمكن قطعها مادامت لغة العبادة مع الإيمان بالتنوع اللغوي الذي هو من الآيات الربانية. وسخر المبارك جهودا كثيرة لخدمة اللغة العربية للدفاع عنها وإظهار عبقريتها أمام

1 محمد المبارك، فقه اللغة، (د. ط)، (د.ن)، (د.ت)، ص12.

الخصوم الذين أرادو النيل منها والنيل من الرسالة نفسها لأنها المعبّر الوحيد عنها. يقول المبارك: "غدت العربية لسان الأمة، تحمل رسالة إنسانية بمفاهيمها وأفكارها واستطاعت أن تكون لغة حضارة إنسانية واسعة اشتركت فيها أمم شتى كان العرب نواتها الأساسية والموجهين لسفينتها، اعتبروها جميعا لغة حضارتهم وثقافتهم، فاستطاعت أن تكون لغة الحقائق الرياضية والطبيعية، ولغة الحكم والتشريع، ولغة التجارة والعمل، والفلسفة والمنطق، ولغة التصوف بما فيه من أدق الخواطر وأرق الأحاسيس والعواطف، ولغة الأدب والفن"[1].

ويضيف المبارك: "أن في دارستها وتفهمها تفهما عميقا كشفا عن شخصيتها وترسيخا لعروبتنا بل لإنسانيتنا، لأننا من خلال ألفاظها وقوالبها عرفنا أنفسنا وعرفنا الإنسانية بل عرفنا الكون والله"[2].

حاول المبارك جهده إبراز تأثير القرآن في العربية من ناحية الدرس اللغوي كما في كتابه (فقه اللغة) و(عبقرية اللغة العربية)، ومن ناحية النص الأدبي كما في كتابه (دراسة أدبية لنصوص القرآن). لقد كانت هذه المساهمات نوعا من التجديد في التعامل مع لغة القرآن الكريم وأسست لتطور البحوث والدراسات لتبرز من خلالها عظمة القرآن[3].

ولا بد أن هذا التجديد على مستوى اللّغة كان له أثره على منحى التجديد في علم الكلام عنده؛ بمحاولة العمل على جعل لغة علم الكلام متساوقة مع روح الواقع الحديث ومع الذهنية المعاصرة للباحثين وطلبة العلم والمثقفين عموما، حتى يحظى علم الكلام بالقبول خاصة وأنه كان يؤكد على مشروعية علم الكلام ووجوب الاشتغال به في هذا العصر.

---

1 محمد المبارك، عبقرية اللغة العربية، دار الفكر، بيروت، (د.ت)، (د.ط)، ص8.

2 المصدر نفسه، ص31.

3 قروف الهاشمي، محمد المبارك وجهوده في الفكر الإسلامي، مذكرة ماجيستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2008/ 2009م، ص130.

المطلب الثاني: مبررات التجديد عند الأستاذ المبارك

يعتبر التجديد عند الأستاذ المبارك مما دعت إليه الحاجة، كونه يذكر مصطلح "بحاجة" عدة مرات مقرون بمصطلح جديد في مؤلفاته، وقد أشار إلى عدة أسباب للتجديد لعلم الكلام ومبرراته، وهذا ما سنبينه في العناصر التالية:

الفرع الأول: قصور علم العقيدة التقليدي عن مواجهة التحديات المعاصرة

أشار الأستاذ المبارك إلى علماء الكلام القدامى وأثنى على جهدهم المبذول في الدفاع عن العقيدة في وجه الخصوم والأعداء من أصحاب العقائد والفلسفات الأخرى، وبين أنهم واجهوا فلسفة معينة. "فكان عرضهم لهذه العقيدة الإسلامية ملونا بلون من الثقافة التي واجهوها وظروف البيئة الفكرية التي عاشوا فيها أو واجهوها"[1].

ويضيف المبارك "إن لكل عصر أساليبه المنطقية وطرائقه الفكرية وقضاياه ومشكلاته، لذلك وجب أن تعرض العقيدة القرآنية مع ثباتها من حيث المضمون وفقا لأساليب عصرنا في التفكير، وأن تعرض من خلال قضاياه ومشكلاته"[2]. تمثيلا لقوله أيضا: "لم يعد من الجائز أن نعرض العقيدة وندرسها كما يعرضها التفتازاني[3] في مقاصده، أو النّسفي[4] في عقائده، فنبحث مشكلات تاريخية لا

---

1 محمد المبارك، العقيدة في القرآن الكريم، ص5.

2 المصدر نفسه، ص4.

3 هو عبيد الله بن إبراهيم بن أبي بكر، الإمام أبو بكر النسائي، التفتازاني، كان إماما، مفتيا، مفسرا، محدثا، واعظا، مشتغلا بالعبادة، يتولى الحرث والحصاد والدرس بنفسه، ويأكل من كده. ينظر: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، دار الغرب الإسلامي، ط1، تحق: بشار عوّاد معروف، 2003م، ج11، ص1007.

4 هو العلامة المحدث، أبو حفص، عمر بن محمد بن أحمد بن لقمان، النسفي الحنفي، من أهل سمرقند. وهو مصنف "تاريخها" الملقب بالقند. ونظم "الجامع الصغير". وكان صاحب فنون، ألف في الحديث، والتفسير، والشروط، وله نحو من مائة مصنف. مات بسمرقند في ثاني عشر جمادى الأولى سنة سبع وثلاثين وخمس مائة. ينظر: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، سير أعلام النبلاء، (د.ط)، دار الحديث، القاهرة، 1427هـ/ 2006م، ج14، ص494.

وجود لها اليوم، ونناقش فرقا انقرضت ثم نهمل مشكلات قائمة وفرقا ومذاهب موجودة...لكننا اليوم أمام مشكلات جديدة ومذاهب فكرية وفلسفية."[1]

لا يقول الأستاذ أنه يجب أن تقحم العقائد والمزاعم التي تقول إن اكتشاف الطبيعة أغنى من الإيمان بالله ليس في عرضه، ولكن وجب أن يضمن عرضه الموقف الصحي الذي يدحضها ويسقطها".[2] "مما يعني أن علم العقيدة السابق عاجز منهجيا وموضوعيا عن علاج مشكلات الناس الراهنة، منهجيا لأنه انطلق من فلسفات ونظريات ومسلمات خاصة بذلك العصر وكثير منها تغير بتغير النظريات العلمية التي تغذي الفلسفة، وموضوعيا التي كان علماء العقيدة يعالجونها"[3].

إن المسلك في عرض العقيدة أسلوب العصر الحديث من حيث التعبير ومناهج البحث والاستدلال بدلا من السير في أعقاب المتكلمين ووفقا لطرائقهم في البحث التي تأثروا فيها بنظريات ومفاهيم الفلسفة القديمة التي تبدلت اليوم وحلّ محلها مفاهيم ونظريات أخرى ولاسيما بعد اتساع آفاق الكشف العلمي للكون والطبيعة.[4]

مما يعني أن علم العقيدة السابق عاجز منهجيا وموضوعيا عن علاج مشكلات الناس الراهنة، منهجيا لأنه انطلق من فلسفات ونظريات ومسلمات خاصة بذلك العصر وكثيرا منها تغير بتغير النظريات العلمية التي تغذي الفلسفة، وموضوعيا بتجدد المشكلات التي لم تكن موجودة سابقا وظهور غيرها، واندثار المشاكل العقدية التي كان علماء العقيدة يعالجونها.[5]

هذا يعني أن الأستاذ المبارك يرفض مسلك القدماء وطرائقهم في البحث وعرضهم للعقيدة بل أنه يشجع على أسلوب العصر الحديث من حيث مناهج البحث والاستدلال والتعبير.

---

1 محمد المبارك، الفكر الإسلامي الحديث في مواجهة الأفكار الغربية، (د.ط)، بيروت، دار الفكر، 1387هـ/ 1968م، ص118.

2 محمد المبارك، العقيدة في القرآن الكريم، ص4.

3 محمد المبارك، بين الثقافتين الغربية والإسلامية، (د.ط)، دار الفكر، 1980م، ص167. وانظر: فتيحة دوار، الدرس العقدي عند محمد مبارك، (رسالة ماجيستر)، جامعة الجزائر، 2010م، ص117.

4 محمد المبارك، نظام الإسلام-العقيدة والعبادة، ط2، ص5.

5 محمد المبارك، بين الثقافتين الغربية والإسلامية، ص167. وانظر: فتيحة دوار، الدرس العقدي عند محمد المبارك، ص117.

الفرع الثاني: التحديات العقدية المعاصرة

كانت الشعوب الإسلامية تؤلف أمة بالمعنى التام خلال عدد من القرون التي أعقبت ظهور الإسلام، فقد امتزجت في سائر مجالات الحياة امتزاجا عجيبا، لكن هذا الارتباط أخذ يضعف[1] لورود تحديات غير التي كانت في السابق سواء كانت من داخل المجتمع الإسلامي أو من خارجه، فانشغالات الناس مختلفة عن ما كان من قبل وإن وجد بعض التشابه بينهما، "ذلك أن فلسفات العصور تتغير"[2] فأصبحت العقيدة تدور حول قضايا لم يكن الجيل الأول من المسلمين يشغلون أنفسهم بها؛ كمسألة الذات والصفات ومسألة خلق القرآن، فهذه قد تبدلت بعد الاكتشافات العلمية الحديثة[3] كما عبر عنها الأستاذ بقوله: "وفلسفات ومذاهب مستحدثة وأساليب في العرض وتعابير جديدة"[4].

من بين أهم التحديات العقدية التي واجهت المجتمع الإسلامي والعقيدة الإسلامية خصوصا وشوهت بعض معالمها وأفكارها وحصلت فيها انحرافات هي تحديات يمكن تقسيمها إلى تحديات داخلية وأخرى خارجية. أما التحديات الداخلية فهي تلك التي تتعلق بداخل البيئة الإسلامية والتي نوضحها كالتالي:

- **تعطيل الأخذ بالأسباب**: أن الوقوف موقف الاستسلام وعدم الحركة أمام طوارئ الحياة من مرض أو فقر أو استيلاء عدو ناشئ عن تشويه وسوء فهم للعقيدة الإسلامية.

بيّن الأستاذ ترويج بعض المتكلمين من المتأخرين أن الاعتقاد بتوليد الأسباب لنتائجها يناقض ويعارض الاعتقاد بأن الله هو الخالق للحوادث، وهوّنوا من شأنها تهوينا يؤدي إلى تعطيل التفكير وربط الأسباب بالنتائج[5]. وقد أوضح أن هذه الفكرة خاطئة ومخالفة للقرآن والسنة، ودلل على ذلك

---

1 محمد المبارك وآخرون، الثقافة الاسلامية. تحق: محمد ابراهيم علي وحسين حامد حسان، ط18، مركز النشر العلمي، 1424هـ/ 2003م، ص93.

2 فتيحة دوار، الدرس العقدي عند محمد المبارك، ص116.

3 محمد المبارك وآخرون، الثقافة الإسلامية، ص104. وفتيحة دوار، الدرس العقدي عند محمد المبارك، ص116.

4 فتيحة دوار، الدرس العقدي عند محمد المبارك، ص117.

5 محمد المبارك وآخرون، الثقافة الإسلامية، ص107.

بكثرة ما قرن الله تعالى في القرآن الكريم النتائج بمقدماتها، كنمو النبات بعد نزول المطر في آيات كثيرة، وسوق الرياح للسحاب، ونزول المطر،[1] قال تعالى: ﴿**وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ**﴾ [الحجر: 22].

وكذلك الحديث النبوي كقوله الرسولﷺ: «**إِنَّ لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءً فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللَّهِ**»[2]، ثم إن عمل الرسولﷺ وصحابته كان قائما على اتخاذ الأسباب والوسائل في السلم والحرب، فقد اتخذ السلاح، وحفر الخندق وغير ذلك.[3]

- **سوء فهم الزهد والتوكل:** بين الأستاذ أن المتأخرين فهموا من التوكل ترك الأخذ بالأسباب وإهمال سنن الله في هذا الكون والاستسلام دون حركة أو عمل للوصول إلى غاية أو هدف كالنصر على الأعداء أو الحصول على الرزق، ولو كان هذا الفهم لكان أولى الناس بتطبيقه سيد المتوكلين وكذلك كانت خطة الصحابة في معالجة الأمور.[4]

بالإضافة إلى هذا المفهوم المشوّه مفهوم الزهد المشوه أيضا، فظهرت دعوة دخيلة إلى ترك الدنيا والانصراف إلى العبادة بمعناها الضيق، والحقيقة أن الإسلام يدعو إلى مفهوم معين للزهد وهو إيثار الآخرة على الدنيا والعمل في هذه الدنيا على أساس أن الحياة الآخرة هي الغاية وأن الدنيا وما فيها لا يقصد لذاتها وإنما هي وسيلة.[5]

- **سوء فهم عقيدة القضاء والقدر:** بيّن الأستاذ المبارك إساءة المسلمين فهم القضاء والقدر، وأشار إلى أنهم فهموا أنه الاستسلام للواقع باعتباره نتيجة تقدير الله السابق وقضاءه النافذ وفق إرادته، وقد أدت هذه الفكرة إلى نتائج وخيمة منها ترك الكسب والارتزاق، وأمثال هذه المواقف التي يوجب فيها الإسلام العمل لتغيير الواقع ويجعل السكوت تقصيرا بل إثما كبيرا، والدليل على فساد هذا الفهم في

---

1 المرجع السابق، ص107.

2 ابن حبان، صحيح ابن حبان، كتاب الطب، باب ذكر الإخبار بأن العلة التي خلقها الله جل وعلا إذا عولجت بدواء غير دوائها لم تبرأ حتى تعالج به، حديث رقم: 6063، ج 13، ص428.

3 محمد المبارك وآخرون، الثقافة الإسلامية، ص107.

4 المرجع نفسه، ص107.

5 المرجع نفسه، ص108.

نظره أن القرآن دعا إلى قتال الكفار والمشركين ولا سيما إذا كانوا معتدين أو مهاجمين ودعا إلى دفع الظلم والظالمين[1]. قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (97) إلا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا**﴾[النساء: 97-98]

وأضاف الأستاذ إن كان الإيمان بالقضاء والقدر معناه السكوت والاستسلام لاقتضى ذلك أن يسكت محمدﷺ على ما كان عليه قومه من الفساد، لكن الذي فعله عكس ذلك... وكذلك كان عمل الصحابة وهم أعرف الناس بالإسلام. وكيف يكون هذا التغيير الاستسلامي صحيحا والقرآن نفسه يدعو إلى إنكار المنكر بل إلى تغييره[2]، قال تعالى: ﴿**وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [آل عمران: 104]

وأما عن التحديات الخارجية في البيئة الإسلامية فإن أهم تحدٍ ذكره الشيخ المبارك هو الإلحاد.

- **الإلحاد:** إذا تمكن الإيمان الخالص من قلب المؤمن استطاع اجتناب كل ما ينفي توحيده ومن أهم الامور التي تنفي الإيمان هي قضية الإلحاد، التي أقرها القرآن تحت عنوان الدهريين، قال تعالى: ﴿**وَقَالُوا مَا هِيَ إِلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلا يَظُنُّونَ**﴾ [الجاثية: 24]، يحمّل الأستاذ المبارك أوربا مسؤولية انتشار الإلحاد في العصر الحديث، "إن العصبية المذهبية أوجدت حواجز كثيفة بين المسلمين في القرون الأخيرة فأضعفت شعورهم بوحدتهم الإسلامية، وأورثت بينهم العداوات ما شغلهم عن أعداء الإسلام، ومن الأخطار المحدقة بالمسلمين والإسلام في هذا العصر الاستعمار، والإلحاد والتشكيك في الإسلام، قد كان ذلك مقترنا مع الاستعمار ومساعدا له"[3]. "بل كان من أبرز سماتها إقصاء فكرة الإله والإيمان به".[4]

---

1 المرجع السابق، ص106 بتصرف.

2 المرجع نفسه، ص108.

3 المرجع نفسه، ص130.

4 محمد المبارك، نظام الإسلام العقائدي، ص11.

وقد قام الأستاذ المبارك بشرح فكرة الإلحاد بأسلوبه الخاص مبينا أثرها على الدين والأمة: "الإلحاد جمود عقلي وهو بذلك يمنع العقل من أن يفكر فيما وراء حدود الأفق المادي ودائرة المحسوس"[1]، بهذا المعنى يقصد أن الإلحاد يمنع استقبال الأخبار الغيبية ويضع مشكلة الوجود بدون حل، وكون الحياة مستمرة ومتغيره فالإلحاد يعتبر حاجز لمواجهة متغيرات العصور وتحدياتها بكل الأشكال خاصة الجانب العقدي. ويضيف: "يقف أهل الإلحاد عند مظاهر الكون لا يتجاوزونها إلى غاياتها والغرض منها"[2]، بمعنى أن كل الأشياء ذات غاية وهدف وهذه القضية لا تجعل للأشياء غايات وأهداف بل تضعها في دائرة لا أهمية لها.

كخلاصة الإلحاد عند الأستاذ فكرة غير علمية فضلا عن أنها غير قيمية أخلاقية، حيث يفرق بينها وبين المنطق بغير المعقول، "المنطق السديد والخلق القويم خصومة مستحكمة وعداوة دائمة"[3].

الفرع الثالث: نقائص سابقة وراهنة لدرس العقيدة

يظهر هنا إلمام الأستاذ المبارك بالدرس العقدي السابق والراهن وبلوغه درجة من التصحيح إذ وضح أن هذه النقائص إنما هي نقائص في عصره لم تكن قبلا كونها نوع من استجابة لظروف واقعة وهي مبثوثة في مؤلفاته، وهي أنواع نقائص شكلية وموضوعية ومنهجية.

أ – النقائص الشكلية:

- **صعوبة الأسلوب:** يُبين الأستاذ أن لكل عصر أساليبه المنطقية وطرائقه الفكرية وقضاياه ومشكلاته، لذلك أكد على "وجوب أن تعرض العقيدة القرآنية مع ثباتها وفق أساليب عصرنا في التفكير"[4]، وأشار أيضا إلى المؤلفين في هذا العصر في العقيدة "على تفاوتهم في التحرر من أسلوب

1 محمد المبارك، نحو إنسانية سعيدة، ط1، دار الفكر المعاصر، 1970م، ص138. وانظر: فتيحة دوار، الدرس العقدي عند محمد المبارك، ص144.

2 محمد المبارك، نحو إنسانية سعيدة، ص25. وانظر: فتيحة دوار، الدرس العقدي عند محمد المبارك، ص145.

3 محمد المبارك، نحو إنسانية سعيدة، ص138. وانظر: فتيحة دوار، الدرس العقدي عند محمد المبارك، ص145.

4 محمد المبارك، العقيدة في القرآن الكريم، ص4.

قدماء المتكلمين ولم يستطيعوا أن يخرجوا على الأطر المرسومة والتعابير المعهودة والوسائل المبحوثة"[1] ولذلك أكد أنهم لم يكونوا دعاة ناجحين وجل ما يمكم الوصول إليه أن يكونوا مناظرين مجيدين.

- **انصباغ الكتب العقدية بالفلسفة:** يعيب الأستاذ على المؤلفات في موضوع العقيدة قديما، ويقول بانتهاء تلك الآثار الضخمة لعلماء الكلام القدامى والتي مثّلت صراع العقيدة الإسلامية مع العقائد الأخرى إلى متون صيغت فيها الآراء النهائية في خلاصات كثيفة وجمل موجزة معقدة أحيانا أطلق عليها العقائد أو التوحيد مع احتوائها على كثيرٍ من مسائل الفلسفة القديمة إلى جانب أصول الدين[2]. ويشرح هذا الكلام بأن تلك الآثار التي امتزجت فيها أحيانا العقيدة الإسلامية بالفلسفة والتي بدورها أنتجت فلسفة جديدة، مثل كتاب "تهافت الفلاسفة" للغزالي و"تهافت التهافت" لابن رشد و"الرد على المناطقة" لابن تيمية[3] هذه الكتب موجّهة للخواص وليس للجمهور، مضيفا أن القرآن إنما خاطب الجمهور خاصته وعامته[4].

ب – النقائص المنهجية:

- **الخلط بين الأدلة:** تتنوع الأدلة الموصلة إلى حقائق العقيدة الإسلامية (النقلية، العقلية، الوجدانية)، ولكل مسألة أدلة موصلة إليها، فوضع أدلة مكان أخرى هو ما نبه عليه الأستاذ، وهذه من نقائص المؤلفات السابقة للعقيدة، وضرب مثلا كإثبات نبوة خاتم المرسلين بالدليل النقلي مع أن الدليل العقلي أنسب.[5]

أشار الأستاذ أن للمتكلمين والفلاسفة أسلوب منطقي جاف مجرد، وجميع الأدلة المعروضة في علم الكلام مبثوثة في القرآن ولكن بطريقة حية وبأسلوب يمكن أن يفهمه الخاصة والعامة؛ كل بقدر

---

1 المرجع السابق، ص4.

2 المرجع نفسه، ص5.

3 المرجع نفسه، ص5 بتصرف.

4 المرجع نفسه، ص5.

5 فتيحة دوار، الدرس العقدي عند محمد المبارك، ص100 بتصرف.

طاقته، ودلل الأستاذ بالإشارة إلى "الشاطبي في موافقاته، وكما يذكر ابن رشد في مناهج الأدلة في عقائد الملة".[1]

أشاد الأستاذ بالقرآن العظيم الأدلة جامع لكل الأساليب، وأن طريق القرآن العظيم في دعوة الإنسان إلى الإيمان بالله خالق الكون متعدد المسالك[2].

- **الخلط بين العقيدة الإسلامية وعلمها:** ينطلق الأستاذ في تحديده لمفهوم العقيدة من كون هذا الفظ ليس قرآنيا وإنما اصطلح عليه علماء المسلمين في العهد العباسي، واللفظ الذي ورد في القرآن الكريم هو لفظ الإيمان وهو أشمل لأنه ينسحب إلى المعنى العقلي والعاطفي للدين من جانبه الإيماني، على عكس مصطلح العقيدة الذي يركز على الجانب الفكري فقط. ويحلل ذلك بأن الإيمان يشمل حقائق أساسية كبرى عرضها القرآن الكريم وأيدها بالأدلة والشواهد.[3]

والعقيدة في معناها العام عند الأستاذ وتعني النظرة العامة للوجود كما تعني الخلفية الفكرية، "فالعقيدة سواء كانت دينية أم فلسفة فكرية هي الأساس الذي تقوم عليه حضارة أولئك الذين يدينون بتلك العقيدة أو تلك الفلسفة بل تقوم عليه جميع الأنظمة الاجتماعية في تلك الحضارة"[4].

يعتبر الأستاذ الخلط بين العقيدة وعلم العقيدة من النقائص المنهجية، "إن خلط الناس بين مبادئ العقيدة وأسلوب عرضها أو بينها وبين وسائل الدفاع عنها، وتمسك المتعلمين والمعلمين بالأمرين معا على حد سواء، ولم يفرقوا بين عقيدة خالدة وأسلوب زمني عارض قابل للتبديل"[5]. ونبّه الأستاذ أن هذا الامتزاج هو "اقتراض مضر بالعقول ومدعاة لفتنها إذ تسري في النفس عدوى ذهاب تلك الفلسفة إلى العقيدة بحكم قانون تداعي الأفكار"[6]، هذا الخلط ينتج إلحاق علم العقيدة البشري بالعقيدة الخالدة وهو بمثابة الفتنة، فيرتاب كال متلقي للعقيدة بالارتياب الحاصل في العقيدة.

---

1 محمد المبارك، العقيدة في القرآن، ص32.

2 المرجع نفسه، ص31.

3 شيدخ حجيبة، مقاصد العقيدة في كتابات محمد المبارك، مقال منشور بمجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، جوان2016م، ع37، ص300.

4 محمد المبارك، نظام العقيدة والعبادة، ط2، ص35.

5 محمد المبارك، العقيدة في القرآن الكريم، ص5.

6 محمد المبارك، بين الثقافتين الغربية والإسلامية، ص168، وفتيحة دوار، الدرس العقدي عند محمد المبارك، ص99.

ج – النقائص الموضوعية:

- **تشعب الإسلام إلى شعب منفصلة:** كان الإسلام في الاصل...وحدة مترابطة الأجزاء تتصل فيه العقيدة الإيمانية بالعبادة والسلوك. كما يظهر ذلك جليا في منهج القرآن الذي لا يفصل بين أجزاء نظام الإسلام الثلاثة بل يعرضها عرضا شاملا، قال تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾[الحج: 77]، وكان وعي المسلمين الأولين له...مشتملا على القناعة العقلية بحقائق العقيدة وعلى السلوك العملي في تطبيق أحكامه وعلى الشعور بالمعاني النفسية التي أثارتها آيات الكتاب وأحاديثهﷺ[1].

أشار الأستاذ إلى حدوث انفصال للوحدة الحيوية الكاملة التي تضمنها الإسلام في مصدريه إلى ثلاث شعب: شعبة العقليات فكانت من اختصاص علم الكلام والعقائد، وشعبة الأحكام العملية فكانت من اختصاص الفقه، وشعبة الوجدانيات فكانت من اختصاص أهل الزهد والتصوف. "فصار كل فريق من هذه الفئات الثلاث منحصر من ناحية دون غيرها حتى كأنها هي الإسلام في نظره، ويهتم كل فريق بالجانب الذي يعنيه من القرآن الكريم"[2].

يضيف الأستاذ أن العصور المتأخرة قدمت الإسلام أجزاء متناثرة مفككة من اعتقادات أساسية صحيحة، "فقد ضعف عند المسلمين الإدراك الكلي للإسلام باعتباره مذهبا كاملا".[3] ولا بد من إظهار الترابط الوثيق بين مكونات الإسلام الثلاثة.

- **إثارة مواضيع غير علمية:** من النقائص التي نجد لها ذكر في مؤلفات الأستاذ أن كثيرة هي المواضيع المعروضة في كتب العقيدة التي لا طائل من بحثها حاليا ومواصلة البحث فيها في العصر الراهن لانعدام ثمرة العمل[4].

---

1 محمد المبارك وآخرون، الثقافة الإسلامية، ص118.

2 المرجع نفسه، ص119.

3 المرجع نفسه، ص120.

4 فتيحة دوار، الدرس العقدي عند محمد المبارك، ص97.

إن الإيمان القرآني أوسع بكثير وأعمق من عقيدة المتكلمين والفلاسفة، وكيف أن كتب العقائد وعلم الكلام أثارت ولا تزال تثير مسائل مضى زمانها وليست هي من صميم العقيدة القرآنية، كمسائل الذات والصفات وتصنيفاتهم للصفات وما إلى ذلك من المسائل لم يُعْنَ بها الجيل الأول ولا التفت إليها القرآن، وليست هي كذلك بالنسبة إلى الفكر الحديث ذات شأن. لذلك يجب أن نعيد النظر من جديد في طريق بث الإيمان القرآني وفهم العقيدة القرآنية وعرضها على الناس عرضا مستمدا من القرآن العظيم[1].

الفرع الرابع: مشروعية ووجوب الاشتغال بعلم الكلام

لا خلاف بين علماء العقيدة قديما وحديثا على وجوب التبليغ عن الله تعالى في مجال العقيدة، سواء بيانها أو بنقض الشبهات التي يلقيها المشككون في صحتها، رغم اختلافهم في مسألة ووسائل ومناهج تبليغ العقيدة الإسلامية[2].

ويذهب الأستاذ إلى أن علم العقيدة الإسلامية ليس مشروعا فحسب بل هو واجب كفائي، نستشف هذا مما ذكره في كلامه؛ إذ قال: "بوجوب كل علم يحتاج إليه المسلمون في دينهم ودنياهم وجوبا كفائيا"[3]، فيفهم ضمنيا بوجوبه، وكذلك بعدما أشاد بعلماء العقيدة السابقين دعا إلى التجديد فقال: "لكن هذه العملية نفسها يجب أن تتجدد في كل عصر ذلك أن فلسفات العصور تتغير"[4]، والأمور التي توجب تجديد هذا العلم بحسب رأي الأستاذ هي:

- **مهمته الرسالية:** وذلك حين عرفه بوظيفته، قال: "للدفاع عن العقيدة وعرضها بالأدلة"[5].
- **ديمومة الرسالة:** أكّد الأستاذ أنه في كل عصر مشكلات عقدية جديدة تلزم علماء العقيدة الرد عليها فلا يمكن القعود عن مهمة أداء هذه الرسالة في زمن من الأزمنة[6].

---

1 محمد المبارك، العقيدة في القرآن الكريم، ص44.

2 فتيحة دوار، تجديد علم العقيدة الإسلامية عند الأستاذ محمد المبارك، مقال منشور بمجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، ع16، ص454.

3 محمد المبارك، بين الثقافتين الغربية والإسلامية، ص17. وفتيحة دوار، الدرس العقدي عند محمد المبارك، ص114-115.

4 محمد المبارك، بين الثقافتين الغربية والإسلامية، ص167. وانظر: فتيحة دوار، الدرس العقدي عند محمد المبارك، ص115.

5 محمد المبارك، بين الثقافتين الغربية والإسلامية، ص17. وانظر: فتيحة دوار، الدرس العقدي عند محمد المبارك، ص116.

6 فتيحة دوار، الدرس العقدي عند محمد المبارك، ص116.

- **إنجازاته الواقعية:** استطاع علم العقيدة الإسلامية أن يحافظ على متن العقيدة الإسلامية ضد المطاعن والشبهات التي وجهت إليه، وهو ما يطلق عليه بجانب الهدم من جهة، ومن جهة أخرى هو جانب البناء تمكن علماء العقيدة الإسلامية من نشر عقائد الإسلام في غير أهله، فمن ينكر جهود الإمام أبي حنيفة وأحمد بن حنبل وأبي الحسن الأشعري وابن تيمية[1].

1 المرجع السابق، ص116.

المبحث الثاني:

مداخل تجديدية للدرس الكلامي عند الشيخ محمد المبارك

بعد عرض مبررات التجديد في علم الكلام عند الأستاذ المبارك، واهم نقائص درس العقيدة التي ذكرها، يظهر عدم وقوف الأستاذ عند هذا الحد، بل شخص الداء واجتهد في تقديم الدواء، فقد قام باقتراح عدة نقاط موضوعية ومنهجية للنهوض بالدرس الكلامي أو العقدي، نذكرها كما يلي:

المطلب الأول: المداخل الموضوعية لتجديد الدرس الكلامي

الفرع الأول: التركيز على المعالم الكبرى للعقيدة الإسلامية في تجديد الدرس الكلامي

الفرع الثاني: بعث دور العبادة في تجديد الدرس الكلامي

الفرع الثالث: إبراز النظم التي تنبثق عن العقيدة الإسلامية ودوره في تجديد الدرس الكلامي

الفرع الرابع: قضايا واقعية لتجديد الدرس الكلامي

المطلب الثاني: المداخل المنهجية لتجديد الدرس الكلامي

الفرع الأول: التركيز على القرآن الكريم مصدرا أساسي للعقيدة الإسلامية

الفرع الثاني: التركيز على الكون والإنسان

الفرع الثالث: حصر المسائل الفرعية في الخاصة دون العامة.

الفرع الرابع: صياغة مقترنة بتصحيح المفاهيم

الفرع الخامس: تحقيق التوازن بين الجانب العقلي والوجداني

المطلب الأول: المداخل الموضوعية لتجديد الدرس الكلامي

المقترحات الموضوعية للتجديد في العقيدة تعني الاقتراحات التي تستند إلى الحقائق والبيانات الموضوعية لتحقيق تحسينات في العقيدة بشكل موضوعي وشفاف، ويهدف هذا النوع من المقترحات إلى تعزيز الفهم الصحيح والتطور البناء في العقائد بناء على أدلة ومعلومات قابلة للتحقق.

يدعو الأستاذ المبارك إلى جملة من المواضيع والاهتمام بها ولها الأولوية لما تحققه من مقاصد تتلخص في توجيه عبادة الخلق للواحد الأحد وتحقيق الولاء له في مختلف مسالك الحياة، نوردها كما يلي:

الفرع الأول: التركيز على المعالم الكبرى للعقيدة الإسلامية في تجديد الدرس الكلامي

تتضمن العقيدة الحقائق الكبرى التي دعا القرآن الكريم إلى الإيمان بها أو التي وجه الإنسان وأرشده إليها وهي تصور الوجود، وجود الخالق ووجود الكون والإنسان والصلة بين الله والكون والإنسان، وكذلك الحياة وما وراءها، من حياة أخرى أو المصير والجزاء والنبوة التي هي طريق معرفة هذه الحقائق الكبرى.[1]

يذهب الشيخ المبارك إلى ضرورة أن يكون الدرس العقدي في الإسلام متجها اتجاها كلياً إلى إبراز معالم العقيدة الإسلامية الكبرى وأسسها، "دون الدخول في التفصيلات والجزئيات والخلافيات"،[2] وعدم إثارة معارك جانبية وجزئية بين المسلمين المتفقين على أصول الإسلام وعقائده والعناية بالكليات من العقائد والأنظمة أكثر من الجزئيات"[3].

وأكد على أن القرآن الكريم كرر دعوته إلى الإيمان بالله فاطر السماوات والارض وبالنبوات ودعوات الأنبياء وخاتم النبيين وبالحياة الآخرة والجزاء فيها وما يتبع ذلك من كبريات القضايا.[4] وبيّن

---

1 محمد المبارك، نظام الإسلام-العقيدة والعبادة، ط2، ص28.

2 المرجع نفسه، ص6.

3 محمد المبارك، الإسلام والتيارات الفكرية العالمية، (د.ط)، (لا.ن)، (د.ت)، ص94.

4 المرجع نفسه، ص94.

أنه من الأفضل عدم الدخول في التفصيلات، "وتجنب ما يسبب فتنة عقول أهل العصر من الأمور المختلف عليها، ويعلل ذلك بعدم ثبوت النص الدال عليها ثبوتا قاطعا أو لعدم دلالة النص الثابت دلالة قطعية عليها".[1]

من المعالم التي ركز عليها الأستاذ نذكر:

1- النبوّة:

عرفها الأستاذ على أنها "ليست نبوغا عقليا ولا عبقرية شخصية ولا تكتسب اكتسابا، ولكنها مرتبة روحية فوق النبوغ والعبقرية واصطفاء من الله لبعض أفراد من البشر خصهم الله بصفات من الإدراك الروحي لا يصل إليها غيرهم من البشر وبقدرة على تلقي وحيه".[2] وذكر الأستاذ جملة من أهدافها:

- من أهداف الرسالات ومهمات الأنبياء هداية الناس إلى طريق الحق.[3]

- مهمة الأنبياء بالجملة هداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور في الإيمان والعقيدة وفي الأخلاق والسلوك.[4]

- وقد كان أعظم ما جاءت النبوات من أجله تخليص الناس من العبودية لغير الله ومن اتخاذهم معبودات تكون واسطة بينهم وبين المعبود الأكبر على زعمهم.[5]

2- الإيمان بالله:

عرف الأستاذ الله بقوله: "الله في العقيدة الإسلامية وجود كامل مطلق يتصف بالحياة والعلم والقدرة والإرادة"[6]، وذكر أيضا: "مفهوم الإله في الإسلام هو أنه القوة الخالقة المبدعة، وأنه القوة

---

1 محمد المبارك، نظام الإسلام-العقيدة والعبادة، ط2، ص6

2 المرجع نفسه، ص113.

3 المرجع نفسه، ص102.

4 المرجع نفسه، ص103.

5 المرجع نفسه، ص74.

6 المرجع نفسه، ص53.

الخالقة للأشياء والأسباب. والمقدرة لهذه الأسباب أو لهذه السنن المطردة والقوانين المنتظمة".[1] وذكر الأستاذ أهمية الإيمان بالله:

- ينطوي على الاعتراف بالخالق شعور أنه في قبضة الإله وفي ملكه، فيكون اعتماده القلبي على خالقه واستعانته الحقيقية بالله سبحانه.

- الاعتراف بعظيم قدرته، ينطوي على تعظيم الله وإكباره وتقديسه والشعور بالخضوع له والطاعة لأمره.

- الشعور والترقب لرحمة الله المبسوطة لمخلوقاته، والممنوحة لعباده.[2]

- التوجه إلى الله بالسؤال والدعاء لأنه لا يرضى أن يشرك أحد في ملكه.[3] قال تعالى: ﴿**فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا**﴾ [الجن: 18]

الفرع الثاني: بعث دور العبادة في تجديد الدرس الكلامي

اهتم الأستاذ المبارك اهتماما ملاحظا بالعبادة في الإسلام من خلال التعريف بها وإظهار وظيفتها، كما بيّن التلازم بينها وبين الدرس الكلامي:

يعتبر الأستاذ العبادة من أهم مظاهر الخضوع لله تعالى حيث يقول: "إن العبادة في نظام الإسلام جزء أساسي لابد منه لقيامه وحسن تنفيذه".[4] وأكّد على أن العبادة في الإسلام غير منفصلة عن الحياة ومعاركها وآفاقها، "بل ملازمة لها ومصلحة وموجهة لها في وجهتها الصحيحة".[5]

وقد أشار الأستاذ إلى ما أصاب العبادة الإسلامية من التشويه فأصبحت "في نظر البعض من الناس هي وحدها طاعة الله وغفلوا عن ضروب الطاعات الأخرى كالجهاد وإغاثة الملهوف والدعوة إلى الله ومحاربة الظلم والظالمين"[6]

---

1 المرجع السابق، ص52.

2 المرجع نفسه، ص68.

3 المرجع نفسه، ص69.

4 المرجع نفسه، ص164.

5 المرجع نفسه، ص169.

6 محمد المبارك، نظام الإسلام-العقيدة والعبادة، ط1، ص16.

يصور الأستاذ علاقات الناس بمن حوله في شكل حلقات، بداية من الحلقة الأولى، حلقة جسمه ونفسه، ثم حلقة أهله الأقربين، ثم حلقة بني قومه وأهله. وهكذا ينتقل الإنسان من القريب إلى البعيد، وكلما ابتعد من محيطه القريب وعاجله وحاضره كان أحوج إلى التذكير بالحث والتوجيه، والحلقة النهائية والدائرة القصوى هي تلك التي تحدد موقعه من الكون وخالق الكون وهي أهم تلك الحلقات[1]. وأكد الأستاذ أن العبادة في الإسلام هي الوسيلة "لإحداث هذا الوعي وهي الكفيلة بتوليد هذا الشعور، ذلك أنها هي التي تربط الإنسان بالله وتجعله يتجاوز روابطه الأخرى...يقفز ويتجاوز هذه الحلقات حتى يصل في آخر الشوط إلى رابطته العليا المحيطة بكل تلك الروابط وهي رابطته بالله الخالق الآمر المقدر"[2]. فالعبادة كالمنبه تعمل على التذكير بالله تعالى وتقوية الصلة به، وهي بهذا وسيلة وغاية في الوقت نفسه من جهتين مختلفتين.

ويدعو الأستاذ إلى إدراج العبادة ضمن معالم تجديد الدرس الكلامي ببيان الأثر الإيجابي لها، فيقول "إن العبادة هي التي تجعل العقيدة حية في النفس وتنقلها من حيز الفكر المجرّد إلى حيز القلب الذي يحس ويشعر وتجعلها بذلك قوة دافعة، لها حرارتها ولها نورها"[3]، فالاهتمام بها في الدرس الكلامي المعاصر يكون بإبراز وظيفتها لا الدخول في تفاصيلها وهي ما يطلق عليه بالفعّالية الاجتماعية[4].

والأستاذ المبارك دائم الإظهار لوظيفة العبادة في تفعيل العقيدة، "العبادة ترقية الجانب الروحي من الإنسان ذلك أن الإنسان...يتكوّن من عناصر عدة، الجسمي العضوي والعقلي، والروحي"[5]، كما أشار الأستاذ إلى ما تحققه العبادات الإسلامية من أهداف:

– تقوية الإنسان في معارك الحياة فيقول: "العبادة هي التي تجعل الإنسان قويا في هذه المعركة؛ إذ تذكره بالله الدائم الباقي وبمسؤوليته العظمى أمامه وبحياته الآخرة الباقية وما يترتب فيها على أعماله من جزاء"[1].

---

1 فتيحة دوار، الدرس العقدي عند محمد المبارك، ص158.

2 محمد المبارك، نظام الإسلام–العقيدة والعبادة، ط2، ص166.

3 المرجع نفسه، ص164.

4 فتيحة دوار، الدرس العقدي عند محمد المبارك، ص474.

5 محمد المبارك، نظام الإسلام–العقيدة والعبادة، ط2، ص167.

– ويضيف أن العبادة هي التي تذكره بالمعاني المثالية والتوجيهات الإلهية في هذا الصراع، "فلا يداخله الغرور إذا انتصر، ولا الوهن إذا انهزم"[2].

– العبادة تهيأ نفس الإنسان بعد أن ربطتها بخالقها وحاكمها لقبول السلوك الذي يرتضيه وتنفيذ أوامره التي يصدرها وحمل الأمانة التي يحمّله إياها وبذلك يتهيأ لقبول النظام الأخلاقي والنظام التشريعي الذي شرعه له في رسالة الإسلام ويكون عنصر صالحا لإقامة هذا النظام[3].

وقد مثّل الشيخ المبارك لهذه القضية بعدة عبادات نذكر منها:

– **الصلاة:** هي عبادة يومية أساسية في الإسلام وهي في حقيقتها خلوة قصيرة لمناجاة الله، وذكر الأستاذ وظيفتها بأنها تذكّر الإنسان بربّه وهي رابطة أساسية باقية، فتخرج الإنسان من استرساله في الشهوات أو من ضعفه بالنفس وشعوره بالعجز وتصله بمصدر القوة ومصدر الحق ومن له الحكم عليه وإليه المصير.[4]

– **الصوم:** هو تخلٍ مؤقت عن شهوات الجسد خلال النهار من قبيل الفجر إلى غروب الشمس لمدة شهر كامل وهو تعبير عن الخضوع لأحكام الله، وهو خروج عن العادات المألوفة والتزام مؤقت لحياة فيها جوع وعطش وتقشف لتربية النفس وضبطها.[5]

وكخلاصة لقوله في العبادة: "أن العبادة في الإسلام وظيفة لا يستغنى عنها أبدا وهي تربط الإنسان بالله فتخلصه وتحرره بذلك من أنواع الخضوع للبشر وضروب العبوديات"[6] قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**﴾[النحل: 36].

---

1 المرجع السابق، ص168.

2 المرجع نفسه، ص169.

3 المرجع نفسه، ص191.

4 المرجع نفسه، ص178.

5 المرجع نفسه، ص 181.

6 المرجع نفسه، ص190.

الفرع الثالث: إبراز النّظم التي تنبثق عن العقيدة الإسلامية ودوره في تجديد الدرس الكلامي

يذهب الشيخ المبارك إلى وجوب مراعاة في عرض العقيدة الإسلامية أنها المنطلق لبناء النظام الأخلاقي والنظام التشريعي، لذلك يجب أن يظهر في عرضها أنها أهل لهذه الفروع وأن تبدو فيها مرتكزات ومستندات هذه النظم بحيث تكون كالثمار للشجرة والنتائج للمقدمات.[1]

إن العقيدة الدينية هي الأساس الذي تقوم عليه حضارة أولئك الذين يدينون بتلك العقيدة، بل تقوم عليه جميع الأنظمة الاجتماعية في تلك الحضارة. من العسير مثلا أن نفصل نظام الحكم في الإسلام عن عقيدته التي تعتبر الحاكم عبدًا لله اختير ليسوس الجماعة الإسلامية سياسة تطبق أحكام الإسلام بالتشاور مع جماعة المسلمين، فهذه النظرة إلى الحاكم وإلى الشعب وما بينهما من صلة منبثة عن التصور الإسلامي الأساسي الذي يعتبر أن البشر متساوون...وكذلك كانت الشورى أساسا وكانت مسؤولية الحاكم بارزة في هذا النظام. وكذلك لو نظرت إلى أي جزء من النظام الاجتماعي في النظام الديمقراطي لوجدته متصلا بفلسفة هذا النظام وتصوره ومفاهيمه، وكذلك لو نظرت إلى أي جزء من النظام الاجتماعي في المجتمع الشيوعي لألفيته منسجما مع فلسفته.[2]

لذلك كان لابد للإنسان أن يتخذ لنفسه موقفا في الحياة، ويحدد سلوكه ويقيم لمجتمعه نظاما من عقيدة ومن فلسفة أو تصور للوجود تكون أساسا لسلوكه.[3]

يلح الشيخ المبارك على ضرورة تقديم صورة شاملة في إطارها، الموضحة لجوانب الإسلام كلها، "من قواعد السلوك في الحياة أو نظامه الأخلاقي، ومن قواعد تنظيم المجتمع أو التشريع المنظم للأسرة وللحياة الاقتصادية وللحياة السياسية أو الدولة"[4]، ويضيف أن هذه الصورة الشاملة هي التي تعرف بالإسلام تعريفا صحيحا، وتميزه من غيره من النظم والمذاهب ولو التقت معه في الجزئيات.

يؤكد الأستاذ على أن العقيدة في نظام الإسلام كما يتجلى ذلك في القرآن الكريم والسنة النبوية تتصل بجميع أجزاء هذا النظام، "فهي الأساس الذي تبنى عليه نظرته أو نظامه الأخلاقي، وهي التي

---

1 المرجع السابق، ص6.

2 المرجع نفسه، ص35.

3 المرجع نفسه، ص36.

4 المرجع نفسه، ص21.

تُكَون الأساس الفكري لعقلية المسلم، والأساس النفسي لسلوكه، ومنها كذلك تنبثق نظرته إلى الحياة الاقتصادية والحياة السياسية وعلى أساس فلسفتها يبنى نظامها".[1] هذا يعني أن العقيدة الإسلامية لها تأثير كبير في الحياة الإسلامية سواء الفردية أو الاجتماعية.

يضيف الأستاذ أن الإسلام لم يقتصر على عقيدة دعا إلى الإيمان بها وشعائر للعبادات أمر بإقامتها، وقواعد للسلوك والأخلاق حض على التزامها، "بل تجاوز ذلك وبنى على هذا كله بناء اجتماعيا كاملا قدم للناس أسسه وهيكله العام وخطوطه الكبرى واتجاهاته العامة وأحيانا بعض تفصيلاته وجزئياته".[2] وبين الأستاذ شمول هذا النظام الاجتماعي على تشريع للأسرة وتحديد وظيفة أفرادها وعلاقات بعضهم ببعض، ويشمل على نظام اقتصادي مالي يحدد طرق الكسب وطرق الإنفاق، وعلاقات الناس ببعضهم من الجهة المالية، وأسس التكافل والتضامن فيما بينهم، ويحدد مفهوم الملكية ويبين قيودها ويفصل ما بين الفرد والجماعة في شؤون المال والتصرف، ويشمل على نظام سياسي أو نظام للدولة ويتضمن مبادى عامة للحكم والسياسة، ويحدد العلاقة بين الحاكم وأفراد الشعب أو الراعي والرعية، وحقوق المواطنين في الدولة الإسلامية...ويشمل على نظام للعقوبات لضمان تنفيذ هذه الأنظمة الأخلاقية والتشريعية جميعا.[3]

الفرع الرابع: قضايا واقعية لتجديد الدرس الكلامي

يوجه الشيخ محمد المبارك نظر المهتمين بالدرس الكلامي إلى ضرورة الانتباه إلى القضايا التي تشغل العالم الإسلامي اليوم في جانبها العقدي، ويعطي مثالا على ذلك بقضية القومية وقضية قلق الإنسانية في العصر الحديث، نفصلهما كما يلي:

– **القومية:** لا يخفي على كل متتبع لأحوال العالم الإسلامي والعربي خصوصا في الظروف التاريخية التي عاش فيها الشيخ المبارك، بروز أفكار تنادي بالتوحد والاجتماع على أساس قومي وعرقي متجاهلة الأساس الديني الإسلامي، حيث وصل الأمر ببعض أصحاب هذا الاتجاه إلى حد المغالاة[4].

---

1 المرجع السابق، ص28.

2 المرجع نفسه، ص29.

3 المرجع نفسه، ص30.

4 فتيحة دوار، الدرس العقدي عند محمد المبارك، ص121.

بيّن الشيخ محمد المبارك موقف الإسلام من هذا الموضوع، حيث قال: إن الإسلام لا يدعو إلى إزالة القوميات...بل إنه يدعو إلى التعاون بينها والالتفاف حول مبدأ يسمو فوقها جميعا ويجمع بينها، وهذا المبدأ هو وحده الأصل البشري والمساواة بين البشر على اختلاف قومياتهم، بناء على هذا واشتراكهم في الخضوع لخالق الكون والوجود في العبودية ومسؤوليتهم تجاهه وتحملهم أمانة الاستخلاف الإلهي التي كرمت بني آدم، والسعي لتنفيذ التعاليم التي جاء بها الإسلام وهو آخر وحي منزل والتي تدور لا على العصبيات الخاصة بل على الحق والعدل والخير وسائر القيم الخُلقية الرفيعة التي يتساوى البشر أمامها ويمكن أن يتعاونوا على أساسها"[1].

وهكذا يتم التنسيق بين القوميات دون إزالتها[2]، وقد عبر القرآن الكريم عن هذه الفكرة أجمل وأعمق تعبير في قوله تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ [الحجرات: 13]

– قلق الإنسانية في العصر الحديث:

بين الأستاذ أن حضارة العصر الحديث أدت للإنسان خدمات عظيمة وأسدت إليه أيادي جليلة، ولا يزال البشر يتنافسون في كسب الجديد من الوسائل التي تزيد من الملذات وتخفف العناء، "ولكن ذلك كله لم يكسب الإنسان أمنا وطمأنينة بل زاده تلظيا وقلقا، فلا يزال الصراع بكل ما فيه من غرائز القتال والتغلب والسلب على أشدّه بين بني الإنسان"[3]، أكّد الأستاذ محمد المبارك أن الحضارة الحديثة ارتقت بما يدي البشر من وسائل وآلات، "ولم تستطع أن ترتقي بالإنسان نفسه حتى يكون أكثر إنسانية أو أكثر سمو ومثالية وأرفع خلافا"[4].

كما تساءل الشيخ المبارك عن فائدة هذه الحضارة ومكاسبها "إذا لم يصل الإنسان إلى الأمن والطمأنينة والسعادة"[5]. وأكد على عدم استطاعة أي مذهب من المذاهب العقائدية في هذا العصر

---

1 محمد المبارك، الإسلام والتيارات الفكرية العالمية، ص81.

2 المرجع نفسه، ص81.

3 محمد المبارك، نظام الإسلام–العقيدة والعبادة، ط2، ص12.

4 المرجع نفسه، ص12.

5 المرجع نفسه، ص12.

أن يوصل إلى هذه النتيجة، بل حتى أن يقرب الناس منها،" فلا الديمقراطية الغربية وحدها ولا الماركسية بألوانها ولا الوجودية استطاعت أن تخفف المآسي بل ربما كانت سببا في زيادتها"[1].

بين الأستاذ قدرة الإسلام في حل هذه الأزمة وتخفيف قلق الإنسانية، "بربط الإنسان بالله بدلا من ربطه بآلهة مادية تزيد من ثورة غرائزه، وبإشعار الإنسان بموقعه من خالقه وبمسؤوليته النهائية أمامه بدلا من أن يقيم نفسه لنفسه إلها"[2].

اقترح الأستاذ كحل لهذه المشكلات أن يُقدم الإسلام للناس ليعرفوه ويدرسوه وينظروا " في طريقته في معالجة مشكلة الإنسان الكبرى وما دونها من مشكلات تتفرع عنها، لعلهم يجدون فيه حلا لأزمتهم وفي خطته هداية إلى سعادتهم".[3]

1 المرجع السابق، ص12.

2 المرجع نفسه، ص12.

3 المرجع نفسه، ص13.

المطلب الثاني: المداخل المنهجية لتجديد الدرس الكلامي

إن المقترحات المنهجية لا تقل أهمية عن المقترحات الموضوعية التي تناولناها سابقا، ذلك أن هذه المقترحات المنهجية تقلّل الجهد المبذول وتختصر الوقت في عمل التجديد الكلامي، فيتحقق المقصد والهدف بسهولة أكبر. ومن المقترحات المنهجية لتجديد الدرس الكلامي التي ذكرها الشيخ محمد المبارك نذكر الآتي:

الفرع الأول: التركيز على القرآن الكريم مصدرا أساسيا للعقيدة الإسلامية

حث الشيخ المبارك على العودة للقرآن الكريم والتركيز عليه لعرض العقيدة بشكل صحيح فيقول: "نحن لا نكاد نجد مؤلفا واحدا يحتوي جميع جوانب الإسلام وأيضا دون تدخل وإقحام الآراء الشخصية. وهذا ما نجده في الغرب والذي تزخر مكتباته بكتب شتى تعرض كل الأديان والمذاهب بكل تفاصيلها، بحيث تعطيك صورة شاملة كاملة عن أي دين أو مذهب".[1]

وإن أخذ العقيدة من مصدرها الأصلي يجعلنا ملمين بكل المجالات "ولو عدنا إلى القرآن ننهل العقيدة ونلتمس الإيمان من ينبوعه الأصلي لوجدنا مجالا أرحب، وأفقا أوسع ومادة أخصب وغورا أبعد، ولوجدنا أسلوبا أكثر تنوعا وحيوية وصلة بحياة الإنسان، وذلك لأن القرآن ملم بجميع جوانب الحياة الإنسانية، من ضمنها العقيدة."[2]

حث الشيخ على أن تكون نقطة البداية والانطلاق لصياغة نظرة جديدة للعقيدة الإسلامية مبنية على الأصل الثابت وهو القرآن الكريم، وأن تكون في نفس الوقت مواكبة للعصر الحديث "فمن المضمون القرآني-المؤيد والمبيّن بالسّنة الصحيحة، يكون الانطلاق وتكون صياغة نظرتنا الذاتية الجديدة، بأسلوب زماننا ومن خلال مفهومنا واجتهاداتنا التي لا تتجاوز الأصل الثابت، وفي ضوء الواقع والمشكلات المطروحة".[3]

---

1 محمد المبارك، نظام الإسلام العقائدي، ص13.

2 محمد المبارك، العقيدة في القرآن الكريم، ص7.

3 محمد المبارك، نظام الإسلام العقائدي ص 18.

الفرع الثاني: التركيز على الكون والإنسان

دعا القرآن الكريم إلى توظيف الكون والإنسان في عرض العقيدة لأن ذلك يوصل الإنسان إلى كبرى الحقائق، وتكون معرفتها كذلك أرفع أنواع المعرفة، من حيث موضوعها، أي الحقيقية الإلهية.[1]

يقول الشيخ المبارك: "الصورة التي يعرضها القرآن الكريم عن الكون شاملة لآفاقه كله جامعة لأجزائه تضع أمام الإنسان أفاق الوجود في إطارها الأكبر. تُعرض أحيانا مفصلة الأجزاء، من السماء بشمسها وقمرها وسائر نجومها وأفلاكها، والارض ببرها وبحرها وجبالها وسهولها وأنهارها وحيوانها ونباتها وإنسانها"[2].

يتصف الكون كما هو مصور ومعروض في القرآن بالحركة والجريان والتبدل[3]، كقوله تعالى: **﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ (37) وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (38) وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (39) لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾** [يس: 37-40]

كما أشار القرآن الكريم للانتظام الذي تتصف به حوادث الكون بأنها مرتبطة بعضها ببعض ما بين سابق ولاحق بانتظام وأجزاء تدل على أنها تتبع سننا مطردة في حدوثها وحركتها كقوله تعالى: **﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ (18) فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (19) وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْآكِلِينَ﴾** [المؤمنون: 18-20]

وأشار إلى التشابه وعدم التشابه[4]. قال تعالى: **﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾**[الأنعام: 141]

كما نبه إلى ما في الكون من صفة الكمية وقابلية العدد الإحصاء والحساب1 كقوله تعالى: **﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾** [الرعد: 8]

---

1 محمد المبارك، العقيدة في القرآن الكريم، ص 12.

2 المرجع نفسه، ص12.

3 المرجع نفسه، ص 12.

4 محمد المبارك، نظام الإسلام-العقيدة والعبادة، ط2، ص42.

وقد بيّن القرآن الكريم بوضوح أن ما في الكون من أصناف وما في الطبيعة من أنواع: قال تعالى: ﴿**وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إلا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ**﴾ [الأنعام: 38]

إن الإنسان في نظر الإسلام هو أحد هذه المخلوقات الكونية التي أسكنها الله هذه الأرض وشاركها الكثير من صفاتها وتفرد هو بصفات خاصة به يشارك الإنسان مع الخلق في أصل الخلق هو التراب ويشارك في نموه وفي الكثير من مواد تركيبه الخلق وأيضا شارك مع الكثير من صفاته وغرائز الحيوانات ولكن الإنسان ميزه الله بالخلق سوى قال تعالى: ﴿**لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ**﴾[التين: 4]، وفي القرآن إشارات عديدة إلى أن علم الإنسان قابل للزيادة[2]، لقوله تعالى: ﴿**وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا**﴾ [طه: 114]، وقال أيضا: ﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ**﴾ [فصلت: 53].

وقد خص القرآن الكريم الإنسان وتحدث عنه مرات كثيرة بل وخصه بالمخاطبة لأنه هو المقصود ولكنه في الوقت نفسه يشعره بموقعه في هذا الكون[3].

إن عرض القرآن الكريم للإنسان والكون، كان ذلك هو المنطلق الذي انطق منه القرآن ليطرح علينا كبرى القضايا والمسائل والتي ليس لها جواب مستساغ مقبول لدى العقل السليم إلا جوابا واحدا وهو أن للكون خالقا مبدعا مقررا لسننه.[4]

الفرع الثالث: حصر المسائل الفرعية عند المختصين دون العوام

تشتمل العقيدة على مواضيع أساسية عامة وتعتبر كبرى المسائل ويجب أن تكون معروفة ومفهومة لكل مسلم ولكن هناك جوانب من الدين تشمل تفاصيل محدودة وفرعية وقد يختلف فهمها بين المسلمين. ولذلك دعا الشيخ إلى حصر تلك المسائل عند الخاصة حيث حث على إثارتها "مع المختصين فقط لا إثارتها مع الجمهور العام أو الطلاب"[5]؛ "لأنه يسبب فتنة للعقول من جهة، ومن

1 المرجع السابق، ص43.

2 محمد المبارك، العقيدة في القرآن الكريم، ص17.

3 المرجع نفسه، ص17.

4 المرجع نفسه، ص19.

5 محمد المبارك، بين الثقافتين الغربية والإسلامية، ص 169، وانظر: فتيحة دوار، الدرس العقدي عند محمد المبارك، ص122.

جهة أخرى باعتبارها قضايا تاريخية لها بواعثها في عصر معين، يمثل لها بمسألة عقل الذات والصفات هل هي عين الذات أم لا...فهي لا ترقى لمستوى البحث في وجود الله والإيمان به وتوحيده واليوم الآخر ومحمد عليه الصلاة والسلام، فيترك هذا النوع من المسائل والخلافات للمختصين"[1].

كما دعا إلى أن تدرّس في قسم العقيدة أو الدعوة أو أُصول الدين، فتدرس العقيدة الإسلامية والعقائد الأخرى المخالفة لها من أديان وفرق، وتدرس معها من فروع الفلسفة[2] لتحقيق فهم شرعي أدق، وللحفاظ على العقيدة وعرضها بشكل صحيح والدفاع عنها ضد الشبهات.

الفرع الرابع: إعادة صياغة مواضيع العقيدة بتصحيح المفاهيم

يعتبر تصحيح الفهم جزءا مهما من عملية صياغة العقيدة الإسلامية، حيث يسعى المسلمون إلى فهم الدين بشكل صحيح وفقا للتعاليم الإسلامية الصحيحة. "إن عملية تصحيح المفاهيم المشوهة استمرت في جميع العصور الإسلامية فكان كل تشويه للحياة الإسلامية أو للمفاهيم الإسلامية يصاحبه ويقابله أو يتبعه تصحيح يعيد الأمر إلى نصابه."[3]. وحث المبارك على إعادة صياغة مواضيع العقيدة وذلك برد الأفكار الدخيلة على الدين والتي نشأت نتيجة للغزو الغربي الثقافي والذي كان نتيجة للاستعمار الغربي للدول الإسلامية وأيضا من خلال الفلسفة اليونانية فيقول: "برد الدخيل وتصحيح الأفكار وتقويم الاعوجاج وإعادة العقائد والمفاهيم إلى أصلها من الكتاب والسنة."[4] وقد يحدث التفسير الخاطئ للمفاهيم الدينية كما حدث مع عقيدة القدر التي كانت "فلسفة إقدام في الحياة"[5] وأذابها " فلسفة تواكل وإحجام" [6]وأيضا للزهد الإسلامي، لذلك كان سعيه في عرض العقيدة بالعودة للكتاب والسنة وعرضها وفقها، وفي حثه على تصحيح الفهم فيقول: وإن من واجب المسلمين-علمائهم ومثقفيهم ومؤسساتهم أن يعملوا على تصحيح المفاهيم وإبراز الإسلام

---

1 محمد المبارك، بين الثقافتين الغربية والإسلامية، ص158، 166، 178. وانظر: فتيحة دوار، الدرس العقدي عند محمد المبارك، ص 122.

2 فتيحة دوار، الدرس العقدي عند محمد مبارك، ص122.

3 محمد المبارك، الفكر الإسلامي الحديث، ص91.

4 المرجع نفسه، ص92.

5 المرجع نفسه، ص37.

6 المرجع نفسه، ص37.

في صورته الصافية حتى يقف بقوة أمام الأنظمة القائمة اليوم في العالم. وحتى يتكون وعي إسلامي يحمل رسالة الإسلام فيحمل إلى الإنسانية السعادة والسلام"[1].

الفرع الخامس: تحقيق التوازن بين الجانب العقلي والوجداني

يعد استخدام العقل في فهم الأساسيات الدينية مثل وحدانية الله والرسالة النبوية والقيم الأخلاقية أمرا أساسيا. حيث يساعد التفكير النقدي والمنطقي على فهم القواعد الأساسية للإسلام، كما أن تفسيرها بموازاة المشاعر وجب أن يجمع بين العقلانية والعواطف فيستخدم الشعور والتأثر لنقل القيم وتوجيه الأفكار والمعتقدات. فإن الوجدان يحفز على العمل والتفاني في سبيل الدين. وفي عرضه لمواضيع العقيدة أخذ الجانب الوجداني حيزا في كتاباته بالنظر إلى أنه أسلوب قرآني أيضا حيث يقول: "وبالإنسان بتركيبته العقلية والقلبية تقنعه حجج العقول وتريحه نتائج الوجدان، وهو ما اهتم به القرآن الذي جمع بين الجانب العقلي والفكري وبين الجانب العاطفي النفسي المشتمل على مجموع العواطف وأنواع الشعور"[2].

1 المرجع السابق، ص94.

2 محمد المبارك، بين الثقافتين الغربية والإسلامية، ص177. وانظر: فتيحة دوار، الدرس العقدي عند محمد المبارك، ص123.

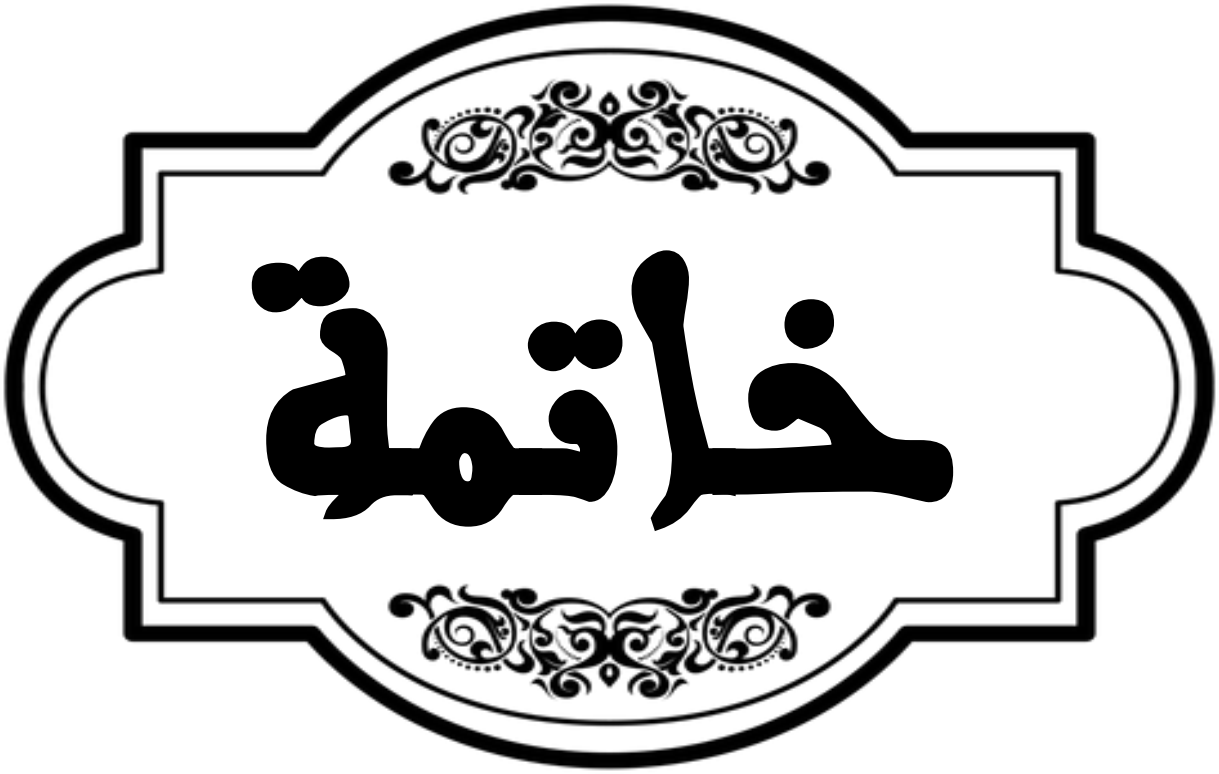
خاتمة

خاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله تتنزل الخيرات والبركات، وبتوفيقه تتحقق المقاصد والغايات، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمّد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم وعلى إله وصحبه أجمعين.

بناء على ما تمّ تناوله في هذا البحث حول إشكالية معالم التجديد الكلامي عند الشيخ محمد المبارك، فإننا لا ندعي الإحاطة بالموضوع وحسبنا أننا بذلنا فيه قصارى جهدنا. ومن خلال ما تقدم من هذه الدراسة نصل إلى النتائج الآتية:

1. أن العمل على تجديد علم الكلام هو أمر بالغ الأهمية لأنه أساس استمرار رسالة الإسلام.

2. الشيخ محمد المبارك قامة من قامات العالم الإسلامي بمسيرته العلمية الثرية وإسهاماته الفكرية وإلهامه ودوره الفعّال في تجديد الفكر الإسلامي عموما وعلم العقيدة خاصة؛ فتأثيره وأثره الفكري يظل بارزا وملموسا، على الرغم من قلّة الدراسات عنه بالمقارنة مع بعض العلماء الكبار الآخرين.

3. الشيخ محمد المبارك هو من أولئك الذين دعو إلى التجديد مع العودة للمصادر الأصلية القرآن الكريم والسنة النبوي، وتجنب التقليد والاعتماد على التفاسير القديمة دون نقد وتمحيص.

4. دواعي تجديد علم الكلام عند الأستاذ المبارك تعود بالأساس إلى التحديات العقدية التي شهدتها الساحة الإسلامية في العصر الحديث، والتي على إثرها جاءت مراجعته للتراث الكلامي خاصة، حيث وقف على نقص وقصور في علم الكلام التقليدي، وأبان بوضوح عن مشروعية ووجوب الاشتغال بعلم الكلام.

5. المستويات الأساسية التي اشتمل عليها التجديد الكلامي عند الشيخ محمد المبارك كانت في موضوع علم الكلام وفي منهجه وفي لغته وفي الوسائل التعليمية والتدريسية له.

6. حاول الأستاذ المبارك إعطاء ملامح تجديدية للدرس الكلامي من خلال مقترحات موضوعية، متمثلة في التركيز على المعالم الكبرى للعقيدة، وإبراز دور العبادة فيها، وبيان الأنظمة المنبثقة عن العقيدة والإشارة إلى قضايا واقعية للنهوض بالدرس الكلامي.

7. من خلال طرحه لمقترحات التجديد ركز الشيخ المبارك على إعادة صياغة العقيدة بمنظور قرآني بإعادة ترتيب مواضيعها من حيث أهميتها كما رتبها القرآن الكريم.

التوصيات:

أما أهم التوصيات التي يمكن الخروج بها من خلال هذا البحث فتتمثل في الآتي:

1. جمع آثار الشيخ محمد المبارك ونشرها؛ فهي آثار علمية ذات قيمة كبيرة جديرة بالدراسة والبحث.
2. قضية التجديد في علم الكلام من المواضيع التي نوصي الطلبة الباحثين في تخصص العقيدة على الاهتمام بها.
3. القيام بدراسات وبحوث في مؤلفات الأستاذ المبارك حول الرؤية الكونية التوحيدية عنده.

وأخيرا لا يسعنا في ختام هذا البحث إلا أن نشكر الله تعالى أن وفقنا إلى إتمام هذه الدراسة، وندعوه سبحانه وتعالى أن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل، وأن يزدنا علما ويعلمنا ما ينفعنا أنه على ذلك قدير وبالإجابة جدير، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى إله وصحبه أجمعين.

ملاحق

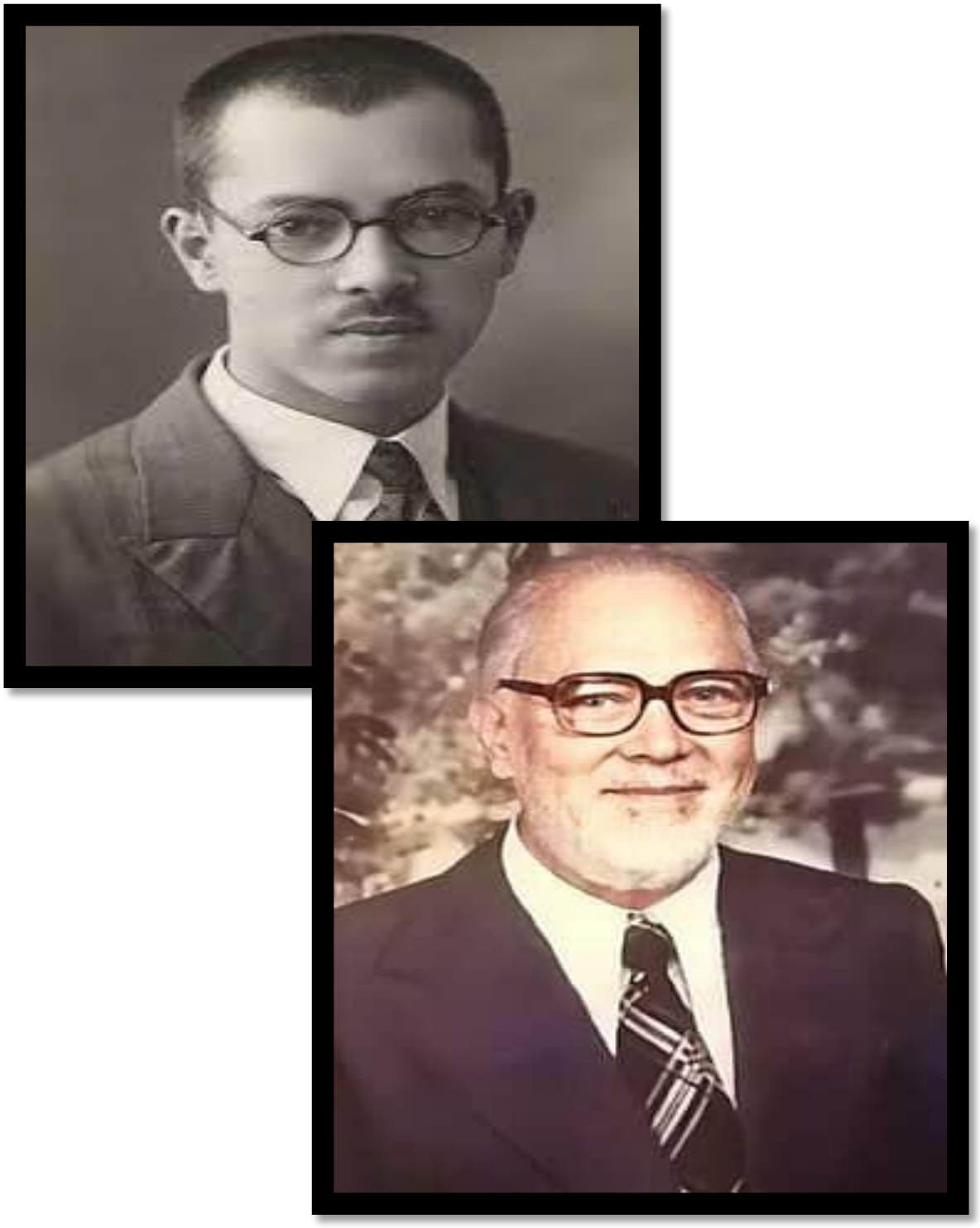

الشيخ محمد المبارك في العشرينيات ثم في السبعينيات من عمره

مقطع أول من مراسلة واتسابية مع الأستاذ صالح المبارك ابن الشيخ المبارك

مقطع ثاني من مراسلة واتسابية مع الأستاذ صالح المبارك ابن الشيخ المبارك

فهارس

فهرس الآيات القرآنية

طرف الآية	رقم الآية	السورة	الصفحة
﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إلى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ...﴾	104	آل عمران	36
﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾	159		29
﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا...﴾	98-97	النساء	36
﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إلى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ بَعْدِهِ...﴾	165-163		25
﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ...﴾	38	الأنعام	55
﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ...﴾	141		54
﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ...﴾	8	الرعد	
﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً...﴾	22	الحجر	35
﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ...﴾	36	النحل	48
﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا...﴾	114	طه	55
﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ...﴾	77	الحج	40
﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ...﴾	20-18	المؤمنون	54
﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ...﴾	40-37	يس	
﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ...﴾	53	فصلت	55
﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إلا وَحْيًا أو...﴾	51	الشورى	25
﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا...﴾	24	الجاثية	36
﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ...	13	الحجرات	51
﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الأول بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾	15	ق	6
﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾	18	الجن	46
﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ...﴾	4	التين	55

فهرس الأحاديث النبوية والآثار

طرف الحديـــــــــث	الصفحة
«أحيانا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الجَرَسِ...»	26
«إِنَّ لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءً فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللَّهِ»	35

فهرس المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**
- **الكتب:**

– **كتب المؤلف (محمد المبارك):**

1– محمد المبارك وآخرون، الثقافة الاسلامية. تحق: محمد ابراهيم علي وحسين حامد حسان، ط18، مركز النشر العلمي، 1424ه/ 2003م.

2– محمد المبارك، الإسلام والتيارات الفكرية العالمية، (لا. ط)، (لا.ن)، (د.ت).

3– محمد المبارك، العقيدة في القرآن الكريم، (لا. ط)، بيروت، دار الفكر، (د. ت).

4– محمد المبارك، الفكر الإسلامي الحديث في مواجهة الأفكار الغربية، (لا. ط)، بيروت، دار الفكر، 1387ه/ 1968م.

5– محمد المبارك، بين الثقافتين الغربية والإسلامية، (د.ط)، دار الفكر، (د.م)، 1980م.

6– محمد المبارك، عبقرية اللغة العربية، دار الفكر، بيروت، (د.ت)، (د.ط).

7– محمد المبارك، فقه اللغة، (د. ط)، (د.ن)، (د.ت).

8– محمد المبارك، نحو إنسانية سعيدة، ط1، دار الفكر المعاصر، (د.م)، 1970م.

9– محمد المبارك، نظام الإسلام–العقيدة والعبادة، ط1، بيروت، دار الفكر، 1388ه/ 1968م.

10– محمد المبارك، نظام الإسلام–العقيدة والعبادة، ط2، بيروت، دار الفكر، 1423ه/ 2003م.

– **كتب أخرى:**

11– اسماعيل الجوهري، الصحاح، ط4، بيروت، دار العلم، 1990م.

12– أبو الاعلى المودودي، موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه وواقع المسلمين وسبيل النهوض بهم، ط2، لبنان، دار الفكر الحديث، 1886ه/1967م.

13– حسن حنفي، علم الكلام ودواعي التجديد، مجلة الحياة الطيبة، العدد الأول، 2004م، شبكة الإمامين الحسنين.

14– ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون. ط4، بيروت–لبنان، دار القلم، 1981م.

15– زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي، فيض القدير، ط1، مصر، المكتبة التجارية الكبرى، 1356ه.

16- شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، سير أعلام النبلاء، دار الحديث، القاهرة، (د.ط)، 1427هـ/ 2006م، ج14، ص494.

17- شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، دار الغرب الإسلامي، ط1، تحق: بشار عوّاد معروف، 2003م.

18- عبد الجبار الرفاعي، مقدمة في علم الكلام. (ط:2؛ الخرطوم، دار المصورات للنشر والطباعة والتوزيع، 2021م).

19- عضد الدين الإيجي، المواقف. تحق: عبد الرحمان عميرة، ط1، بيروت، دار الجيل، (د.ت).

20- عمر رضا كحال، معجم المؤلفين، ط1، سوريا، مطبعة الترقي، 1380هـ/1960م.

21- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر، ط1، لبنان، دار الغرب الإسلامي، 1998م.

22- مجموعة مؤلفين، المعجم الوسيط، تحق: مجمع اللغة العربية، (د. ط)، (د.ن)، (د.ت).

23- محمد المجذوب، علماء ومفكرون عرفتهم، ط1، دار الشواف، 1993م.

24- محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، صحيح البخاري، تحق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط1، (د.م)، دار طوق النجاة، 1422هـ.

25- محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحق: شعيب الأرنؤوط، ط2، بيروت، مؤسسة الرسالة.

26- نزار أباظة ومحمد رياض الصالح، إتمام الأعلام، ط1، بيروت، دار صاد، 1999م.

27- أبو نصر الفارابي، إحصاء العلوم، تحق: عثمان محمد أمين، ط1، مصر، مكتبة الخانجي، 1350هـ/ 1931م.

28- يوسف القرضاوي، الفقه الإسلامي بين الأصالة والتجديد، ط2، القاهرة، مكتبة وهبة، 1419هـ/1999م.

29- يوسف القرضاوي، من أجل صحوة راشدة تجدد الدين وتنهض بالدنيا، ط1، القاهرة، دار الشروق، 1421هـ/ 2003م.

- **المقالات:**

30- حيدر حب الله، علم الكلام ضروريات النهضة ودواعي التجديد، مجلة الحياة، علم الكلام الجديد قراءة أولية، 2015م.

31- دوار فتيحة، مؤلفات المفكر الجزائري محمد المبارك-دراسة تحليلية نقدية، كلية العلوم الإسلامية

جامعة الجزائر1 بن يوسف خدة، م19، ع2، مجلة رسالة المسجد.

32– سعيد عبيدي، علم الكلام كآلية من آليات إصلاح وتجديد الخطاب الديني، مجلة المعرفة، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، ع69، 2020-06-30.

33– شيدخ حجيبة، مقاصد العقيدة في كتابات محمد المبارك، مقال منشور بمجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، جوان2016م، ع37.

34– عبد الكريم القلالي، مداخل التجديد الكلامي نحو رؤية تجديدية تكاملية، دورية نماء لعلوم الوحي والدراسات الإنسانية، ع4، 2020م، فاس-المغرب.

35– فتيحة دوار، تجديد علم العقيدة الإسلامية عند الأستاذ محمد المبارك، مقال منشور بمجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، ع16.

36– كوثر بن كريرة، مرتكزات التجديد ومعيار المجدد في ظل النوازل العقدية، مجلة مقاليد، ع4، مج7، 30/04/2021،.

- **الرسائل علمية:**

37– راضية فايزي وفاطمة الزهرة قريوي، التجديد الكلامي عند محمد عبد الله دراز، كلية العلوم الإسلامية، قسم أصول الدين، جامعة الشهيد حمة لخضر، 2020/2021م.

38– فتيحة دوار، الدرس العقدي عند محمد المبارك، (مذكرة ماجستير في العقيدة)، كلية العلوم الإسلامية، الجزائر، 1431هـ/ 2005م.

39– قروف الهاشمي، محمد المبارك وجهوده في الفكر الإسلامي، (مذكرة ماجيستير)، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2008/ 2009م.

40– محمد علي النجار، اتجاهات تجديد الفكر العقدي عند أهل السنة في العصر الحديث. (مذكرة ماجستير في العقيدة والفلسفة الإسلامية)، قسم العلوم الإسلامية الأساسية، اسطنبول، 2022م.

41– نوال بن عبد الحميد وزينب تواتي طلبية، التجديد الكلامي عند نديم الجسر، كلية العلوم الإسلامية، قسم أصول الدين، جامعة الشهيد حمة لخضر، 2022/2021م.

42– الهاشمي قروف، محمد المبارك الجزائري وجهوده في الفكر الإسلامي، مذكرة ماجيستر في الدعوة الإسلامية، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 20082009/م.

- **المقابلات والمراسلات الشخصية:**

43– مراسلات عن طريق الواتساب مع الأستاذ صالح المبارك ابن الشيخ محمد المبارك.

فهرس المحتويات

شكر وعرفان	**ج**
الملخص	
مقدمة	أ
المبحث التمهيدي: مدخل مفاهيمي	5
المطلب الأول: مفهوم التجديد في علم الكلام	**6**
الفرع الأول: تعريف التجديد	6
الفرع الثاني: تعريف علم الكلام	7
الفرع الثالث: المقصود بتجديد علم الكلام	8
الفرع الرابع: جوانب التجديد في علم الكلام	9
المطلب الثاني: محمد المبارك ترجمة موجزة	**12**
الفرع الأول: مولده ونسبه	12
الفرع الثاني: نشأته التعليمية ومسيرته العلمية	13
الفرع الثالث: آثاره وأقوال العلماء وبعض المقربين فيه	16
الفرع الرابع: وفاته	20
المبحث الأول: مجالات ومبررات التجديد في علم الكلام عند الشيخ المبارك	**22**
المطلب الأول: مجالات التجديد عند الأستاذ المبارك	**23**
الفرع الأول: التجديد على مستوى مواضيع العقيدة	23
الفرع الثاني: التجديد على مستوى المنهج	27
الفرع الثالث: التجديد على مستوى الوسائل	29
الفرع الرابع: التجديد على مستوى اللغة	30
المطلب الثاني: مبررات التجديد عند الأستاذ المبارك	**32**
الفرع الأول: قصور علم العقيدة التقليدي عن مواجهة التحديات المعاصرة	32
الفرع الثاني: التحديات العقدية المعاصرة	34

الفرع الثالث: نقائص سابقة وراهنة لدرس العقيدة	37
الفرع الرابع: مشروعية ووجوب الاشتغال بعلم الكلام	41
المبحث الثاني: مداخل تجديدية للدرس الكلامي عند الشيخ محمد المبارك	**43**
المطلب الأول: المداخل الموضوعية لتجديد الدرس الكلامي	**44**
الفرع الأول: التركيز على المعالم الكبرى للعقيدة الإسلامية في تجديد الدرس الكلامي	44
الفرع الثاني: بعث دور العبادة في تجديد الدرس الكلامي	46
الفرع الثالث: إبراز النّظم التي تنبثق عن العقيدة الإسلامية ودوره في تجديد الدرس الكلامي	49
الفرع الرابع: قضايا واقعية لتجديد الدرس الكلامي	50
المطلب الثاني: المداخل المنهجية لتجديد الدرس الكلامي	**53**
الفرع الأول: التركيز على القرآن الكريم مصدرا أساسيا للعقيدة الإسلامية	53
الفرع الثاني: التركيز على الكون والإنسان	54
الفرع الثالث: حصر المسائل الفرعية عند المختصين دون العوام	55
الفرع الرابع: إعادة صياغة مواضيع العقيدة بتصحيح المفاهيم	56
الفرع الخامس: تحقيق التوازن بين الجانب العقلي والوجداني	57
خاتمة	**58**
ملاحق	**2**
فهرس الآيات القرآنية	**66**
فهرس الأحاديث النبوية والآثار	**67**
فهرس المصادر والمراجع	**68**
فهرس المحتويات	**71**